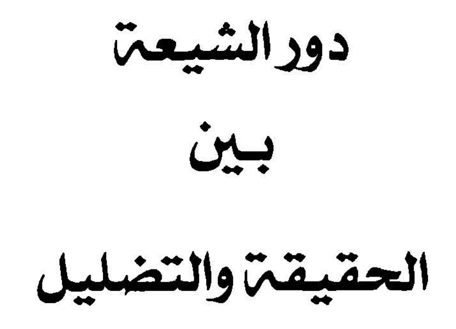
دور الشيعة بين الحقيقة والتضليل

محمد عيدان العبادي

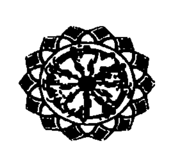

بسم الله الرحمن الرحيم



دور الشيعة بين الحقيقة والتضليل



محمد عيدان العبادي



■ دور الشيعة بين الحقيقة والتضليل

التأليف : محمّد عيدان العبادي

الموضوع : تاريخ

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الأولى

تاريخ النشر: ١٤٣٠ هـ. ق

عدد النسخ: ٣٠٠٠

ردمك: ٨ـ ٥٦٦ـ ٥٢٩ـ ٩٦٤ـ ٩٧٨

info@ahl-ul-bayt. org
www. ahl-ul-bayt. org

أهل البيت عليهم السلام
في القرآن الكريم

إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام في السنّة النبويّة

إنّي تارك فيكم الثقلين

أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود

من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما

لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض

مسند أحمد ٣ : ١٤ و ١٨ (ما أسند عن أبي سعيد)

سنن الترمذي ٥: ٣٢٩ / ح ٣٨٧٦

المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٩ و ١٤٨.

فضائل الصحابة للنسائي: ١٥ (باب فضائل عليّ عليه السلام)

المعجم الأوسط للطبراني ٣ : ٣٧٤

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية.

وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأُمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤولياته الّتي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها الّتي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة الّتي حرصت في الردّ على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب الّتي تختزّنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها ؛ لأنّها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدم لطلاّب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث

والمؤلفات الّتي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، أومن الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحقّ، لتنفتح على الحقائق الّتي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدّم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ محمّد عيدان العبادي لتأليفه هذا الكتاب.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت

المعاونية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله الطاهرين .

المقدمة

أمر الإسلام أتباعه بالدعوة إلى الله تعالى: «بالحكمة والموعظة الحسنة»، وأن يكون جدالهم: «بالتي هي أحسن»؛ تأسياً برسول الله ﷺ في منطقه البليغ، وخلقه الرفيع.

قبل عدة شهور جلب لي أحد أساتذتي كتاباً يحمل عنوان: (**خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية/ لمؤلفه الدكتور عماد علي عبد السميع**)، وطلب مني مطالعته، وابداء رأيي عليه.

وقد طالعت الكتاب الآنف الذكر بدقة حتى آخره، وأصابني الغثيان مما ضمته صفحاته؛ بل سطوره من كلمات بذيئة وجارحة في حق الشيعة، مثل: «خيانة الشيعة، جرائم الشيعة ـ غدر الشيعة ـ نفاق الشيعة ـ خبث الشيعة...و... والخ».

المؤلف المحترم استخدم لغة غير معتدلة (الانفعال)، ولم تكن فيها كياسة المسلم واتزانه ووقاره، كما لم تكن فيها أيضاً الأهداف المقدسة للكتابة؛ فرجل العلم له شؤون لا يجمل بكرامته أن يتعداها.

وكنت في أثناء مطالعتي للكتاب أتساءل وأقول: إذا كان الدكتور المحترم يملك الدليل والبرهان الصادق فما هي الحاجة إلى مثل هذه الشتائم؟!.

ولاحظت أن نقطة الضعف المحورية في الكتاب المسمى (خيانات الشيعة) هي أن الأدلة التي استعان بها في مادة كتابه ضعيفة جداً، وناقصة، وكانت تأويلات وتحليلات المؤلف تحميلية وتعسفية تبعاً لمسلكه المتعصب ثم إنه لم يذهب إلى ما كتبه الشيعة أنفسهم، وخصوصاً في مباحثه التاريخية التي شغلت حيزاً واسعاً من كتابه.

من أجل هذا عقدت العزم متوكلاً على الله في الرد عليه، وبأسلوب ولغة علمية معتدلة بعيدة عن التعصب المذهبي، واستندنا إلى الأدلة الواضحة بعد استخراجها من مظانها الأولية مستفيدين في ذلك من المصادر التاريخية والرجالية وغيرها.

وانتخبنا له عنواناً أسميناه: «**دور الشيعة بين الحقيقة والتضليل**»، يضع القارئ على منصة الحكم والموازنة بين الحقيقة والاتهام وتمسكنا بالدليل من المصادر الأولية الموثوقة في مقابل ما توسل به المؤلف من الاتهام، والقول الجزاف في حق الشيعة؛ ليعلم بعدها أيّ الفريقين أحق أن يتبع؟

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يسددنا للصواب بمنّه وهو أرحم الراحمين.

الشبهة الأولى: مخالفة الشيعة لسائر المسلمين في الأصول

ذكر الدكتور عماد علي عند تصديره على الشيخ محب الدين الخطيب قوله: «إن استحالة التقريب بين طوائف المسلمين وبين فرق الشيعة هو بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الأصول، كما اعترف به وأعلنه النصير الطوسي، وأقرّه عليه نعمة الله الموسوي الخونساري ويقرّه كل شيعي، وإذا كان هذا في زمن النصير الطوسي فهو في زمن باقر المجلسي الآن أشد وافضح».

الجواب: الشيعة لا يخالفون سائر المسلمين في أصولهم.

الشيعة الإمامية كما تشهد به كتبهم القديمة والحديثة المطبوعة وغيرها، وكذا واقعهم لا يخالفون سائر المسلمين في أصول الإسلام: التوحيد والنبوة والمعاد، يؤمنون بالله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ويؤمنون بأنبياء الله ورسله، ومعجزاتهم وكتبهم لا يفرقون بين أحد منهم، ويؤمنون بما أنزل على سيدنا محمد خاتم الأنبياء ﷺ، وأنه لا نبي بعده، وبشريعته التي ختمت الشرائع، وأن القرآن هذا الكتاب الكريم الذي يقرأه أهل السنّة والشيعة هو الكتاب المنزّل عليه، ويؤمنون بسؤال القبر، وقيام الساعة، وإحياء الأموات للحساب، وبالجنة والنار، والصراط والميزان وبملائكة الله، لا سبيل للشك في هذه العقائد عند أي شيعي، وأيضاً يؤمنون بوجوب الصلوات المفروضة وغيرها من الواجبات، كما يؤمنون بحرمة الخمر والميسر، والميتة ولحم الخنزير، والكذب والغيبة، والربا والزنا، واللواط ونكاح المحارم، وغيرها من المحرمات

المعلومة الثابتة بالكتاب والسنة المعدودة من ضروريات الدين الحنيف، فمن شك في ذلك ليس من الشيعة بشيء؛ بل لا يحكمون عليه بالإسلام، وجميع فقهائهم يحكمون عليه بالكفر والارتداد، وهكذا يؤمنون بسائر أحكام الله تعالى في المعاملات، والقضاء، والنكاح، والطلاق، والظهار والإيلاء، والحدود والديات. ولا يضر في الحكم بالإسلام عندهم اختلاف أرباب المذاهب في الفروع الفقهية فيحكمون بإسلام المعتنقين بالمذاهب الأربعة المعروفة، بل ومن لم يعتنق خصوص مذهب من هذه المذاهب، لأن باب الاجتهاد عندهم مفتوح، فليس على المسلم إلا أن يأخذ بالكتاب والسنة، وليس لحصر المذاهب في الأربعة المشهورة أصل صحيح؛ بل يجب على من أدى اجتهاده إلى خلاف هذه المذاهب إتباع اجتهاده [١].

إن التقريب ضرورة إسلامية وقرآنية بعد دعوة القرآن كل المسلمين إلى الاعتصام بالكتاب والسنّة.

وكل الدوائر الاستعمارية تحارب ظاهرة التقريب محاولاته، وتخطط لإجهاضها. وما هذه الكلمة من المؤلف الدكتور إن هي إلا صدى لمحاولات كثيرة ضد التقريب. وذلك لأن تأكيد عدم إيمان الشيعة بالتقريب وعدم إمكان تحققه إنّما هو من أجل الحيلولة دون تحقق هذا الأمر العظيم الذي سعى من أجله الإمام الخميني قدس سره في ثورته الإسلامية المباركة وسار فيه على خطى من سلف من علماء

(١) مجموعة الرسائل: الشيخ لطف الله الصافي، ج٢ ص٤٤٠ ـ ٤٤١.

الشيعة العظام كالإمام البروجردي، والإمام كاشف الغطاء، والإمام شرف الدين، والعالم المصلح الوحدوي السيد جمال الدين الحسيني الأسد آبادي المعروف بالأفغاني من علماء عصر الصحوة الإسلامية المباركة.



الشبهة الثانية: سوء حال أهل السنة في إيران

أورد الدكتور عماد علي خلال تصديره عن ناصر الدين الهاشمي قوله: ليس أدل على خداع دعوى التقريب من سوء حال أهل السنة في إيران؛ فلو صدقوا في دعواهم لقاربوا بين صفوف الشعب الإيراني سنة وشيعة.

الجواب: أهل السنة في إيران يتمتعون بكامل حقوقهم.

وفقاً لمواد الدستور الإسلامي في الجمهورية الإسلامية فإن الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الإثنى عشري، والمذاهب الإسلامية الأخرى، سواء الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، والزيدي تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم الدينية حسب فقههم، وتتمتع هذه المذاهب، بجميع الحقوق الرسمية في مجال التعليم والتربية والممارسات الدينية، والأحوال الشخصية (الزواج، الطلاق، الإرث، الوصية) والدعاوى المرتبطة بها في المحاكم، وكل منطقة يتواجد فيها أتباع هذه المذاهب بالأكثرية، فإن المقررات المحلية لتلك المنطقة تكون وفق ذلك المذهب، في نطاق صلاحيات مجالس الشورى المحلية، مع حفظ حقوق أتباع سائر المذاهب الأخرى.

أما دعوى التقريب التي اعتبرها ناصر الدين الهاشمي وتبعه عماد علي على أنها خدعة فإن الشيعة بحكم الآية الكريمة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، يعتبرون المسلمين أمة واحدة، والجمهورية الإسلامية في إيران تسعى إلى إقامة سياستها العامة على قاعدة ائتلاف واتحاد الشعوب الإسلامية، وتواصل جهودها من أجل

تحقيق وحدة العالم الإسلامي السياسية والاقتصادية والثقافية، وعليه فقد أسس مجمع التقريب بين المذاهب تحقيقاً لهذا الغرض، لكن يظهر أن هذا الهدف الذي ينشده الشيعة أو المسلمون الأسوياء لا يتلاءم وطبيعة التربية الناقصة لبعض الذين نبتوا على العداء فأخذوا يظهرون رفضهم الصريح لكل المشاريع التوحيدية التي تخدم الأمة الإسلامية.

لكننا نسأل الدكتور: هل يتمتع الشيعة في بلادكم وبلادٍ أخرى بما يتمتع به أهل السنّة في إيران؟

* * *

الشبهة الثالثة: السيد الخميني قدس سره ينظر إلى الوحدة الإسلامية من خلال مذهبه

ذكر الدكتور عماد علي في (ص١٧ ـ ٢٥) أقوالاً لبعض علماء الشيعة ووضعها في مبحثه الأول تحت عنوان «عقائد وراء خيانات الشيعة» وهو عنوان يعبر عن روح الخشونة والعداء المستحكم ضد الشيعة وتلبسها ثوب الخيانة، فعين السخط تتكلّف التأويل، وتتصيد المعايب لتظهرها، وفي معرض ذكره لمحاولات تقريب المذاهب التي ينادي بها الشيعة يبدي تذمره من دعوات التقريب ويقول في ص٩ : «هذه اللملمة ثبت فشلها في كل محاولة، فأهل كل مذهب ـ وخصوصاً الشيعة ـ لا يدعون إلى تقارب الآراء وإنما يدعون إلى تقريب أهل السنة إلى مذهبهم تصريحاً أو تلميحاً ـ ثم يذكر في الهامش توضيحاً لإدعائه بقوله: ولقد صرح الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» وهو يتحدث عن الوحدة الإسلامية أنه ينظر إليها من خلال مذهبه أي أن يشيع الناس، ويستشهد على هذا بقول منسوب إلى فاطمة الزهراء (رضي الله عنها): «طاعتنا نظاماً للملة وإمامتنا أماناً من الفرقة» .

الجواب: الدكتور عماد علي يحرف كلام السيد الخميني قدس سره عن مواضعه.

سنضع بين يدي القاريء الكريم نص كلام السيد الخميني قدس سره ليطّلع على الفارق بين النص الذي حرّفه عماد علي وبين النص الحقيقي الذي يتحدث عن الحكومة من أجل حفظ نظام ووحدة

المسلمين وتبديل افتراقهم إلى اتحاد فيما بينهم في مقابل الاستعمار وأذنابه وإليك النص الحقيقي:

«ضرورة الوحدة الإسلامية»:

إن المستعمرين والحكام المستبدين وطالبي الجاه قد قسموا الوطن الإسلامي، وفصلوا الأمة عن بعضها، وجعلوها شعوباً متفرقة. كما قام المستعمرون بتقسيم الدولة العثمانية الكبرى في زمانها. فقد اتحدت روسية وانكلترا والنمسا وسائر الدول الإستعمارية، ودخلوا معها في حروب، ومن ثم احتلت كل دولة منهم قسماً من مناطقها ولئن كان أكثر حكام الدولة العثمانية لا يتمتعون باللياقة المطلوبة، وبعضهم كان فاسداً، وكان نظامهم نظام سلطنة، لكن كان لا يزال خطر ظهور أشخاص صالحين من بين الشعب قائماً بالنسبة للمستعمرين، لأنه ربما قام هؤلاء باستلام الحكم بمساعدة من الناس، وقضوا على وجود الاستعمار ـ لذا قاموا بتقسيمها في الحرب العالمية الأولى، وبعد حرب متعددة، حيث تحولت المناطق التي كانت تحكمها إلى دول صغيرة تبلغ بين عشر إلى خمسة عشر دولة، سلّموا كل واحدة منها إلى أحد عملائهم. وفيما بعد خرجت بعض هذه من أيدي أتباع الاستعمار وعملائه.

لا سبيل لدينا ـ لتحقيق وحدة أُمتنا الإسلامية، ولإخراج وطننا الإسلامي وتحريره من تحت سيطرة ونفوذ المستعمرين، والدولة العميلة له ـ سوى تأسيس دولة. إذ لكي نحقق الوحدة والحرية

للشعوب الإسلامية يجب إسقاط الحكومات الظالمة والعميلة، ومن ثم إقامة الحكومة الإسلامية العادلة التي تكون في خدمة الناس. فتأسيس الحكومة هو لأجل حفظ نظام ووحدة المسلمين، كما تقول الزهراءؑ في خطبتها من أن الإمامة هي لأجل حفظ النظام، وتبديل افتراق المسلمين إلى اتحاد»[١].

ونحن نتساءل ونقول أين هو الحديث عن مذهب التشيع؟! أو أين هي الوحدة الإسلامية من وجهة نظر التشيع؟! أما الاستشهاد بقول السيدة الزهراء، فالسيد الخميني أورده باعتبارها شخصية يتفق المسلمون على أن لها مكانتها بينهم ويحترمون قولها وهي ليست محسوبة لخصوص مذهب معين، بل هي لجميع المسلمين.

الوحدة التي ينادي بها السيد الخمينيقدس سره لها جذور إسلامية في نبذ الظلم، والوقوف صفاً واحداً أمام جبهة القوى الإستعمارية وملحقاتها من حكومات ظالمة وعميلة لإقامة حكومة إسلامية تضع إمكاناتها تحت خدمة وتصرف الناس وذلك ما يطلبه ويسعى إليه المسلمون على اختلاف مشاربهم.

* * *

(١) الحكومة الإسلامية: السيد روح الله الخميني، ص٦٢ ـ ٦٣.

الشبهة الرابعة: تكفير علماء الشيعة للسنة

ذكر الدكتور عماد علي: «ويقول الملا محمد باقر المجلسي والذي يلقبونه بالعلم العلامة الحجة فخر الأمة في بحار الأنوار ٢٣/٣٩٠: «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضّل عليهم غيرهم يدل أنهم مخلدون في النار». ويقول شيخهم محمد حسن النجفي في جواهر الكلام ٦/٦٢، ط . دار إحياء التراث العربي . بيروت: «والمخالف لأهل الحق كافر بلا خلاف بيننا.. كالمحكي عن الفاضل محمد صالح في شرح أصول الكافي بل والشريف القاضي نور الله في إحقاق الحق من الحكم بكفر منكري الولاية لأنها أصل من أصول الدين». هذا ونقل شيخهم محسن الطباطبائي الملقب بالحكيم كفر من خالفهم بلا خلاف بينهم في كتابه مستمسك العروة الوثقى ١/٣٩٢ ط ٣ مطبعة الآداب النجف ١٩٧٠م...».

الجواب: الشيعة لا يكفرون أهل السنة بل الشيعة هم ضحية التكفير

لو اعتمدنا المقياس الذي اعتمده عماد علي في كتابه «خيانات الشيعة» لوجدنا تكفير الشيعة واتهامهم لأسباب غير وجيهة يكاد يكون حالة شبه عامة وليس أدل على ذلك من الأحكام والآراء التي يطلقها مؤلف الكتاب، وهناك غيره من يصفهم بقوله: الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة[1]. وهناك من يعتبرهم مبتدعة ولا يجوز

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، ج١١ ص١٩.

الصلاة خلفهم[١]. ونجد ألفاظ كثيرة تصف علماء الشيعة بأنهم أهل ضلال كما هو في تعريف الذهبي للشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد فيقول. كان رأس الرافضة وعالمهم. صنف كتاباً في ضلالات الرافضة، وفي الطعن على السلف ـ يقصد معاوية وأضرابه ـ وهلك في خلق حتى أهلكه الله في رمضان، وأراح المسلمين منه[٢]. وبعضهم يعتبر الشيعة من المخلدين في النار، كما هو لابن تيمية إذ يقول: وقد اجتمع على حبّه ـ الإمام علي ـ الرافضة والنصيرية والإسماعيلية وجمهورهم من أهل النار، بل مخلدون في النار[٣]، ولست أريد الإطالة على القاريء فمسألة تكفير الشيعة عند المخالفين تأخذ مساحات واسعة في تفكيرهم ومصنفاتهم، ومن باب المثال لا الحصر: يقول محمد أمين بن عابدين في العقود الدرية في تنقيح الحامدية: رأيت في مجموعة العلامة شيخ الإسلام عبد الله أفندي حفظه الملك العلام حين زارني في الجنينه وقت قدومه من المدينة المنورة سنة ١١٤٦ ما صورته: «ما قولكم دام فضلكم ورضي الله عنكم ونفع المسلمين بعلومكم في سبب وجوب مقاتلة الروافض وجواز قتلهم: هو البغي على السلطان؟ أو الكفر؟ وإذا قلتم بالثاني فما سبب كفرهم؟ وإذا أثبتم سبب كفرهم فهل تقبل توبتهم وإسلامهم كالمرتد أو لا تقبل كسب النبيﷺ بل لابد من قتلهم؟ وإذا قلتم

(١) انظر: المغني: ابن قدامة، ج٢ ص٢٢.
(٢) تاريخ الإسلام: الذهبي، ج٢٨ ص٣٣٣.
(٣) منهاج السنة: ابن تيمية ، ج٥ ص٧٨.

بالثاني فهل يقتلون حداً أو كفراً؟ وهل يجوز تركهم على ما هم عليه بإعطاء الجزية أو بالأمان المؤقت أو بالأمان المؤبد أم لا؟ وهل يجوز استرقاق نسائهم وذراريهم؟ أفتونا مأجورين أثابكم الله.

الجواب: «الحمد لله ربّ العالمين، إعلم ـ أسعدك الله ـ أن هؤلاء الكفرة، والبغاة الفجرة، جمعوا بين أصناف البغي والفساد، وأنواع الفسق والزندقة والالحاد، ومن توقف في كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم فهو كافر»[1].

وعزفنا عن الإستمرار في إيراد الأقوال في تكفير الشيعة، ونأسف لأن الدكتور عماد علي لم يتبع المنهج العلمي، وأخذ بعض الأقوال التي يمكن توظيفها لخدمة إتهاماته ضد الشيعة دون أن يأتي على الأقوال التي تفرق بين أهل السنة وبين النواصب أو المخالفين ويبدو أن المبدأ الذي يعتمده الدكتور عماد علي ضد الشيعة هو التهمة والخيانة أولاً، على عكس الشيعة الذين يعتمدون النظرة الإسلامية السليمة وهي الصحة والسلامة أولاً.

وإليك نماذج من فتاوى قدماء فقهائنا ومعاصريهم تفرق في الحكم بين السني والناصبي[2]: قال المحقق الحلي في شرائع الإسلام ج٣ ص٦٣٩: الناصب، وهو الذي يسب أو يعادي الأئمة الإثني عشر أو بعضهم، فإنه بحكم الكافر وإن صام وصلى. وقال المحقق الحلي في الرسائل التسع ص٢٧٨: وما روي أن الناصب من قدم علينا، لا

(١) من فقه الجنس في قنواته المذهبية: الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، ص٧٦ ـ ٧٧.
(٢) الانتصار: العاملي، ج١ ص٢٢٩ ـ ٢٣٥.

يعمل به، وليس الناصب إلا من نصب العداوة لأئمة الدين كالخوارج، حسب.

وقال العلامة الحلي في قواعد الأحكام ج٣ ص٣٠٨: الذابح، ويشترط فيه الإسلام أو حكمه، والتسمية. فلو ذبح الكافر لم يحل، وإن كان ذمياً. وكان ميتة ولا يحل لو ذبحه الناصب، وهو المعلن بالعداوة لأهل البيت عليهم السلام كالخوارج، وإن أظهر الإسلام، ولا الغلاة.

وقال أيضاً في منتهى المطلب ج١ ص١٥٢: الناصب، فإنه قادح في أمير المؤمنين عليه السلام، وقد علم بالضرورة من الدين تحريم ذلك، فهو من هذه الحيثية داخل في الكفار لخروجه عن الإجماع. وأما الغلاة فإنهم وإن أقروا بالشهادة إلا أنهم خارجون عن الإسلام أيضاً.

وقال أيضاً في منتهى المطلب ج٣ ص٢٢٤: حكم الناصب حكم الكافر، لأنه ينكر ما يعلم من الدين ثبوته بالضرورة، والغلاة أيضاً كذلك، وهل المجسمة والمشبهة كذلك؟ الأقرب المساواة، لاعتقادهم أنه تعالى جسم، وقد ثبت أن كل جسم محدث.

وقال في تذكرة الفقهاء ج١ ص٦٨: الناصب، وهو من يتظاهر ببغض أحد من الأئمة عليهم السلام.

وقال الشهيد الأول في الدروس الشرعية ج١ ص١١١: الصلاة على كل مسلم ومن بحكمه، ممن بلغ ست سنين. ولو اشتبه المسلم بالكافر صلي على الجميع بإفراد المسلم بالنية، ولا يصلى على الكافر،

والغالي، والناصب.

وقال الشيخ محمد حسن النجفي صاحب جواهر الكلام ج٦ ص٦٦: ومن جميع ما ذكرنا يظهر لك الحال في الفرق المخالفة من الشيعة من الزيدية والواقفية وغيرهم، إذ الطهارة فيهم أولى من المخالفين قطعاً.

وروى في جواهر الكلام ج٣٠ ص٩٩: عن الفضيل بن يسار: سألت ابا جعفر (الإمام محمد الباقر عليه السلام) عن المرأة العارفة هل أزوجها الناصب؟ قال: لا، إن الناصب كافر. قال: فأزوجها الرجل الغير الناصب ولا العارف؟ فقال: غيره أحب إلي منه... نعم لا يصح نكاح الناصب المعلن بعداوة أهل البيت عليهم السلام، ولا نكاح الناصبية كذلك، لارتكابه ما يعلم بطلانه من دين الإسلام، مع فرض تدينهما بذلك، فهو حينئذٍ إنكار ضروري من ضروريات الدين، ودخول في سبيل الكافرين كغيره ممن كان لذلك بلا خلاف أجده فيه، بل الإجماع بقسمية عليه، والنصوص كادت تكون متواترة فيه، بل هو كذلك وقال السيد الخميني في تحرير الوسيلة ج٢ ص١٤٦: يشترط في الذابح أن يكون مسلماً أو بحكمه كالمتولد منه، فلا تحل ذبيحة الكافر، مشركاً كان أم غيره حتى الكتابي على الأقوى، ولا يشترط فيه الإيمان، فتحل ذبيحة جميع فرق الإسلام عدا الناصب وإن أظهر الإسلام.

وقال السيد الخوئي في منية السائل ص١١٨ س: هل يجري على الناصبي ـ المحرز نصبه العداء ـ في أحكام الزواج ما يجري على الكافر من بطلان العقد إبتداء، وانفصال زوجته عنه، ولو طرأ النصب بعد العقد؟

ج: نعم يجري عليه حكم الكافر كاملاً...

وقال الشهيد السعيد السيد عبد الحسين دستغيب في كتابه القيم (القلب السليم): قال تعالى «إنما المؤمنون إخوة». لقد أثبت الله تعالى في هذه الآية الشريفة الأخوة بين المؤمنين، وبناء على هذا فعلى الجميع أن يتعاونوا ويتعاضدوا ويتشاركوا في الهموم أحدهم مع الآخر، فإذا ما نشب خلاف بين طائفتين منهم فيجب إصلاح ذات بينهما، كما توحي هذه الآية الشريفة. والمراد بالمؤمنين أولئك الذين يؤمنون بالله والقرآن والمعاد، ولا ينكرون حكماً من أحكام الإسلام الضرورية، ولو أنهم من وجه القصور لم يتولوا الأئمة الإثني عشر، واتبعوا في فروع الأحكام غيرهم... (في الكافي بإسناده الصحيح عن الصادق عليه السلام قيل له: أرأيت من صام وصلى واجتنب المحارم وحسن ورعه، ممن لا يعرف ولا ينصب؟

فقال عليه السلام: إن الله يدخل أولئك الجنة برحمته. (وفيه: قال رجل للصادق عليه السلام: إنا نتبرأ من قوم لا يقولون كما نقول. فقال عليه السلام: يتولونا ولا يقولون، تتبرؤون منهم؟!.

قال: قلت نعم. قال عليه السلام: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغي لنا

أن نتبرأ منكم؟... إلى أن قال: فتولوهم ولا تتبرأوا منهم).

قال الشيخ محمد رضا المظفر ﷺ: بل المسلم الذي يشهد الشهادتين مصون المال محقون الدم، مصون العرض (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه) بل المسلم أخو المسلم عليه من حقوق الإخوة لأخيه... إلى آخر كلامه في عقائد الإمامية(١).

وأما ما نقله الدكتور عماد علي من أقوال فهي قابلة للرد ونكتفي بما أجاب به سماحة الشيخ علي آل محسن مع بعض التصرف وبنحو مختصر. فقد ذكر الدكتور عماد عن الشيخ المجلسي في بحار الأنوار ج٢٣ ص٣٩٠ أنه قال: واعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده ﷺ وفضّل عليهم غيرهم، يدل أنهم مخلدون في النار.

والجواب على ذلك: أن مراده قدس سره أنه قد ورد في أحاديث الأئمة ﷺ إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد بإمامة أئمة أهل البيت ﷺ، ولا ريب في أن هذا الإطلاق إطلاق مجازي، فيحمل على أن المراد به هو أن حالهم حال الكفار والمشركين في دخولهم النار؛ وذلك لأن غير أهل الحق يدخلون النار، وقد روى القوم ما يوافق ذلك، وهو قول النبي ﷺ: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الملّة ستفترق على

(١) الانتصار: العاملي، ج١ ص٢٣٣ ـ ٢٣٥.

ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة[(١)].

أما ما نقله الدكتور عماد علي عن الشيخ المامقاني قدس سره في كتابه تنقيح المقال ج١ ص٢٠٨ أنه قال: وغاية ما يستفاد من الأخبار جريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة على كل من لم يكن أثني عشرياً.

والجواب: أن المراد بجريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة على من لم يكن اثني عشرياً هو أنه يدخل النار كما يدخل المشرك والكافر النار؛ لأن كل من لم يكن على الحق فهو في النار يوم القيامة، وهذا هو مدلول حديث افتراق الأمة إلى ثلاثة وسبعين فرقة، وليس المراد أنه كافر في الدنيا، وتجري عليه أحكام الكفار المعروفة[(٢)].

وقس على هذا في باقي الإجابات، ولقد لاحظنا أن الدكتور عماد علي قد خلط الألفاظ والمصطلحات فلم يميز بينهما حيث فسر الناصبي بالسني، والمخالفين تأولهم بأهل السنة وهذا ما لا يقول به الشيعة أبداً، ولو وجد ذلك لكان رأياً شخصياً ولا يمثل الشيعة في شيء. ونود إيراد توضيح المقصود بالناصبي أو المخالف عند الشيعة

(١) سنن أبي داود: ج٤ ص١٩٨؛ وصحيح سنن أبي داود: ج٣ ص٨٦٩؛ وصحيح الجامع الصغير: ج١ ص٥١٦؛ وكتاب السنة: ج١ ص٧ و٣٣؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة: ج١ ص٣٥٨.

(٢) انظر: الردود المحكمة: الشيخ علي آل محسن، ص٢٥ ـ ٣٢.

فهو المتجاهر بعداء وبغض أهل البيت الذي أمر الله تعالى المؤمنين بمودتهم. وهذا لا ينطبق على أهل السنة حيث تأوله الدكتور عماد وسفّ الحديث فيه.

* * *

الشبهة الخامسة: الشيعة تعتقد بحرمة الجهاد

ذكر الدكتور عماد علي في (ص٢٤ . ٢٥) أن الشيعة تعتقد بحرمة الجهاد قبل ظهور المهدي وإن الشيعة يقفون موقف المتفرج ثم المتفرج تنكيلاً بالسنة ثم قال: ولم يسجل التاريخ جهاداً ضد الكفار، إلا أن يكون ضد أهل السنة عن طريق الخيانات التي يفعلونها في القديم والحديث. ثم يورد رواية: كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت».

الجواب: جهاد الشيعة

مرة أخرى لم يعتمد الدكتور عماد المنهج العلمي والذي يقتضي الذهاب إلى كتب الشيعة وعلمائهم، لمعرفة صحة الحديث من عدمه، ولو فرض صحة الحديث فما هو تفسير الشيعة لذلك؟ ثم إن كتب المسلمين لا تخلو من الأحاديث الضعيفة، أو الأحاديث التي لها مضمون يرفض فكرة الجهاد، أو رفض الظلم من أي سلطان كان كما هو في الحديث المنسوب إلى الرسول الأعظم ﷺ والذي يرويه البخاري ومسلم في صحيحيهما: «من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»[1].

عندما نضع كثيراً من الأحاديث إلى جانب أحاديث أخرى تدور حول الثورات التي تسبق ظهور الإمام المهدي عليه السلام ضد الحكومات الجائرة يتبين لنا أن الهدف ليس تخطئة كافة الثورات قبل ظهوره؛ بل

(١) صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري، ج٨ ص٨٧؛ وصحيح مسلم: مسلم النيسابوري، ج٦ ص٢٢.

تخطئه الثورات التي تنطلق من الهوى فحسب، مثل كثير من الثورات التي حدثت في عصر الأئمة عليهم السلام وأخفقت. على سبيل المثال، لو وضعنا الحديث الذي ينص على أن «كل راية ترفع قبل قيام القائم عليه السلام: «إنه ليس من أحد يدعو إلى أن يخرج الدجال إلا سيجد من يبايعه، ومن رفع راية ضلالة فصاحبها طاغوت»[١] يلاحظ في هذا الحديث أن راية الطاغوت وضعت بأنها راية ضلالة وهذه القرينة يمكن أن تستخدم في تفسير الحديث السابق أيضاً. وهكذا يتضح لنا أن القصد ليس إلا تحذير الناس من الثورات التي تنطلق من حب الجاه والسلطة[٢].

ثم إن الرواية «كل راية ترفع قبل...» هذه الرواية ضعيفة لا يلتفت إليها وفي سندها «الحسين بن المختار» وهو رجل واقفي[٣]. وذكره ابن داود في رجاله بأنه: مهمل[٤].

والأحاديث الأخرى باطلة سنداً ودلالة. ثم إن عصر الخلفاء الجائرين كان يقتضي جعل هذه الأخبار، لإخماد النار المشتعلة

---

(١) الكافي: ج٨ ص٢٩٧.

(٢) انظر: القيادة في الإسلام: محمد الريشهري، ص١٦٠ ـ ١٦١.

(٣) رجال الطوسي: محمد بن الحسن الطوسي، ص٣٣٤؛ وخلاصة الأقوال: العلامة الحلي، ص٢٣٢.

(٤) رجال ابن داود: ابن داود الحلي، ص٨٢.

ضدهم وهو أمر واضح حيث لجأوا إلى هذه المكيدة والتدبير[١].

ولنفترض جدلاً أن جميع الأحاديث الواردة في عقم الخروج لإقامة الحكومة الإسلامية قبل ظهور الإمام القائم عليه السلام وإدانته صحيحة السند، ولا إشكال فيها من حيث الدلالة على هذا الموضوع، بيد أنها لا يمكن أن تكون معياراً للعمل في مسألة إقامة الحكومة الربانية وهداية الأمة الإسلامية وقيادتها، بسبب تعارض مفهومها ومدلولها مع الحكم البديهي القاطع للعقل والقرآن الكريم وسيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأيضاً مع الأحاديث التي أيدت بعض الثورات، وينبغي أن نقول: إنها صدرت من وحي التقية ومراعاة أصول العمل السري[٢].

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا ينهون عن التعجيل والتهور المضر بالنفس، والذي غالباً ما يقع تحت تأثير الأحاسيس الآنية من دون تهيئة المقدمات وإعداد القوة.

وحتى أخبار التقية فإنها ليست بصدد المنع عن الجهاد؛ بل بصدد الدقة في حفظ النفس مع الإمكان، مع الإشتغال بالوظيفة الدفاعية. ولذا ورد: «إن التقية جنّة المؤمن»[٣]. أو: «التقية ترس المؤمن»[٤] فإن الجنة والترس تستعملان في ميدان المبارزة مع العدو، لا حين المبيت

---

(١) انظر: ثلاث رسائل، ولاية الفقيه: السيد مصطفى الخميني، ص٦٣.

(٢) انظر: القيادة في الإسلام: ص١٦١.

(٣) الكافي: ج٢ ص٢٢٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ج٢ ص٢٢١.

في المأمن. والعقل أيضاً يحكم بحفظ النفس مع الإمكان ولو في حال الدفاع[١].

ومما يقضي منه العجب أن يتهم الشيعة ـ من قبل عماد علي ـ بأنهم ليس لهم جهاد ضد الكفار؛ بل ضد السنة!!!.

سوف لن نذهب بعيداً ففي مطلع القرن العشرين حينما كانت الدولة العثمانية تلفظ أنفاسها الأخيرة، هبّت الدول الاستعمارية لتنهب البلدان الخاضعة تحت سيطرتها ومنها العراق وإيران وكان موقف الشيعة من الاستعمار البريطاني مشرفاً إذ تناسوا: الظلم العثماني لهم والأساليب التي كانت تستخدم ضد الطائفة الشيعية، وهبّوا لنصرتها في مقابل العدو الانجليزي الكافر، وأفتى علماء الشيعة بالجهاد ضد العدو المستعمر، وذهب العلماء إلى جبهة القتال جنباً إلى جنب مع القوات العثمانية وكان من بين الذين ذهبوا إلى مواجهة المحتلين الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد محمد سعيد الحبوبي، والسيد محسن الحكيم، والسيد محمود بن الآخوند كاظم الخراساني وغيرهم.

وكان الآخوند كاظم الخراساني مرجع الشيعة آنذاك فأفتى بالجهاد ضد الانجليز والوقوف إلى جانب الدولة العثمانية كما دعا العشائر الشيعية في الجنوب وأرسل إليهم رسائل خطية فذهبوا من فورهم لمقارعة المحتلين، وتوجد الوثائق الخطية وفتاوى علماء

(١) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ منتظري، ج١ ص٢٣٣ ـ ٢٣٤.

الشيعة وأسماء العشائر التي شاركت في جهاد العدو وإذا شئت وكنت تلتمس الحقيقة فراجع كتاب «مرجعية الآخوند كاظم الخراساني لمؤلفة كامل سليمان الجبوري» كما قام الشيعة بثورة العشرين ضد الانجليز بقيادة المرجع الديني محمد تقي الشيرازي.

وحسبك أن الشيعة بجهادهم ضد الشاه الذي كان ممثلاً لأمريكا وله علاقة وطيدة بالكيان الصهيوني أقاموا دولة إسلامية مستقلة.

ولا يفوتنا أن نذكر جهاد الشيعة في جنوب لبنان ضد الكيان الصهيوني المحتل، فقد كانوا ولا زالوا بمثابة السد الذي يقف دون تحقيق الأطماع الصهيونية في لبنان، وقدّم الشيعة في هذا السبيل آلاف الشهداء.



الشبهة السادسة: الشيعة تخاذلوا عن نصر الإمام علي وباقي أئمة أهل البيت

قال الدكتور عماد علي في ص٢٩: «والشيعة الذين غالوا في حب آل البيت وعلى راسهم علي بن أبي طالب ثبتت خيانتهم لهم منذ اللحظات الأولى لظهور التشيع إبّان الفتن التي ثارت ثائرتها بين الصحابيَين الجليلَين علي ومعاوية رضوان الله عليهما... وكانوا وعدوه بنصرته والخروج معه، ولكنهم تخاذلوا عنه...».

الجواب: إتباع الشيعة لآل البيت عليهم السلام

نود التنبيه إلى أن المؤلف أشار إلى أن اللحظات الأولى لظهور التشيع إبان الفتن في عصر خلافة الإمام علي عليه السلام!!. وهو خلاف الواقع فالتشيع قد تعهده وغرسه الرسول صلى الله عليه وآله وهو يمثل روح الإسلام ومضمونه وقد صدرت أحاديث كثيرة وردت في كتب معتبره عند الفريقين في حق علي وشيعته، ونحيل القاريء الكريم إلى ما ورد في الدر المنثور للسيوطي عند تفسير الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[1]. وقد أنكر هذه الروايات النواصب ومن خالف أهل البيت عليهم السلام.

وتوسلوا بكل حيلة من أجل تغييب الحقيقة، لأن الاعتراف بوجود

---

(١) سورة البيّنة: الآية ٧.

تلك الأحاديث يقلب الأسس الوهمية ويفتح كثيراً من الأسئلة على الأطراف المناوئة لأهل البيتعليهم السلام. ولكن لا بأس بذكر رواية واحدة من الروايات الصحيحة تيمناً مع الإشارة إلى ترجمة أسانيدها وهي:

روى الخطيب في (المتّفق) حسب ما أورده عنه الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان): (من طريق أحمد بن يحيى الأودي) (في لسان الميزان: (الأزدي)، وهو خطأ على التحقيق، حدّثنا إسماعيل بن أبان، عن عمرو بن حريث ـ وكان ثقة ـ عن داود بن سليك، عن أنس بن مالك ـ رفعَه: يدخلُ الجنّة من أُمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم، ثمّ التفت إلى عليٍّ فقالصلى الله عليه وآله: هم شيعتك وأنتَ إمامُهم)[1].

وهذا الحديث إسناده متصل بالموثقين، ولا ينزلُ عن الحسن، ويرتقي بغيره إلى الصحة بلا شك.

أمّا أحمد بن يحيى الأودي: فمن رجال النسائي: (قال أبو حاتم: ثقة، وقال النسائي: لا بأس به) و(ذكره ابن حبان في الثقات)[2].

وقال الحافظ في التقريب: ثقة[3].

وأما (إسماعيل بن أبان): فهو الورّاق، قال ابن حجر كوفي ثقة، وقال الذهبي ثقة[4].

وأما (عمرو بن حريث): فقد صُرّح بكونه ثِقةً في الإسناد،

---

(١) لسان الميزان: ابن حجر، ج٤ ص٣٦٠.

(٢) تهذيب التهذيب: ابن حجر، ج٤ ص٧٧.

(٣) تقريب التهذيب: ابن حجر، ج١ ص٨٥

(٤) تقريب التهذيب: ابن حجر، ج١ ص١٠٥؛ وانظر: الكاشف: الذهبي، ج١ ص٢٤٢.

ويُحتمل أن يكون الموثّق هو الحافظ ابن حجر، أو الحافظ الخطيب البغدادي، أو أحمد بن يحيى الأودي، أو إسماعيل بن أبان، وهؤلاء جميعهم ثقات، فأيّهم كان المؤثّق قَبلنا توثيقه.

و(داود بن سليك) فقد: ذكره ابن حبان في الثّقات، وقال الحافظ في التقريب: مقبول[1].

وأمّا (أنس بن مالك): فهو صحابي، والصحابه عدول، وفي أسمى مراتب التوثيق عند إخواننا من أهل السنة.

إذن فالرواية لا تنزل عن الحسن بهذا السند، والحسن هو من الصحيح لا قسيمه، لذلك يقال للحديث الواحد حسن صحيح.

والدكتور يقول: «الفتن ثارت ثائرتها بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية رضوان الله عليهما».

الجواب: ﴿هَاأَنتُمْ هَـؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾[2].

من سخرية القدر أن يُقرن الإمام علي عليه السلام إلى هذه النظائر. نعم لقد أنزله الدهر ثم أنزله حتى قيل علي ومعاوية.

معاوية مع كل ما فعله بالإسلام وأهله يترضى عليه الدكتور عماد، ويبوئه مقعداً بين الصحابة (صحابي جليل وما عشت أراك الدهر عجبا)، ولكن حتى لا نبتعد عن الدليل نأتي على ذكر بعض الأقوال فيه من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ومن بعض الصحابة:

---

(١) الثقات: ابن حبان، ج٦ ص٢٨٨؛ وتقريب التهذيب: ابن حجر، ج١ ص١٩٨.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠٩.

١ ـ قال البلاذري: حدثني إسحاق... عن ابن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت عند النبي ﷺ قال: يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يموت على غير ملّتي، وكنت تركت أبي قد وضع له وضوء فكنت كحابس البول مخافة أن يجيء قال: فطلع معاوية فقال النبي ﷺ: هو هذا[1].

قال الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري بخصوص هذا الحديث: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم[2].

٢ ـ قال النبي ﷺ في قتل عمار بن ياسر (رضي الله عنهما): «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار»[3]. قال المناوي في فيض القدير: قال القاضي في شرح المصابيح يريد به معاوية وقومه. وهذا صريح في بغي طائفة معاوية الذين قتلوا عمّاراً في وقعة صفّين وأن الحقّ مع عليّ وهو من الإخبار بالمغيبات يدعوهم أي عمّار يدعو الفئة وهم أصحاب معاوية الذين قتلوه بوقعة صفين في الزّمان المستقبل إلى الجنّة أي إلى سببها وهو طاعة الإمام الحق ويدعونه إلى سبب النّار وهو عصيانه ومقاتلته قالوا وقد وقع ذلك في يوم صفّين دعاهم فيه إلى الإمام الحقّ ودعوه إلى النّار وقتلوه فهو معجزة للمصطفى وعلم من أعلام نبوته وإن قول بعضهم المراد أهل مكة الذين عذّبوه أوّل الإسلام فقد تعقّبوه بالرّدّ قال

(١) أنساب الأشراف: ج٥ ص١٣٤.

(٢) جؤنة العطار: ج٢ ص١٥٤.

(٣) صحيح البخاري: ج١ ص١١٥؛ وصحيح مسلم: ج٤ ص٢٢٣٦.

القرطبي وهذا الحديث من أثبت الأحاديث وأصحّها ولمّا لم يقدر معاوية على إنكاره قال إنما قتله من جاء به[(١)].

ومن أقوال الصحابة في معاوية:

١ـ قال صعصعة بن صوحان لمعاوية: ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنّفير مّمن أجلبَ على النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما أنت طليق وابن طليق أطلقكما النبيّ، فأنّى تصحّ الخلافة لطليق[(٢)].

٢ ـ قال البلاذري في أنساب الأشراف: حدّثني أبو مسعود الكوفي عن ابن الكلبي عن عوانة عن أبيه قال: قال سعد بن أبي وقّاص لمعاوية في كلام جرى (بينهما):

قاتلتَ عليّاً وقد علمتَ أنّه أحقّ بالأمر منك؟! فقال معاوية: ولمَ ذاك؟ قال لأن النبي صلى الله عليه وآله يقول (فيه): مَن كنتُ مَولاهُ فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه؛ ولفضله في نفسه وسابقته. قال: فما كنت قطّ أصغر في عيني منك الآن. قال سعد: ولِمَ؟ قال: لتركك نُصرَتَه وقُعُودك عنه وقد علمت هذا من أمره[(٣)].

٣ ـ عن الأسود قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة؟ قالت: وما يعجب؟ هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعون مصر أربعمائة سنة[(٤)].

---

(١) فيض القدير: ج٦ ص٣٦٥.

(٢) مروج الذهب: ج٣ ص٥٠.

(٣) أنساب الأشراف: هامش ص١٠٩ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي.

(٤) سير أعلام النبلاء: ج٣ ص١٤٣.

إن كلام السيدة عائشة ينطوي على اعتراف بوجود وجه مشترك بين معاوية وفرعون.

وهناك أقوال أخرى كثيرة للصحابة والتابعين وتابعي التابعين تعطي تعريفاً واضحاً وصريحاً في أن معاوية خدع النّاس، وأنه ليس من الإسلام في شيء.

أمّا الخيانات للإمام علي وآل البيت عليهم السلام، والتي وسم بها ـ الدكتور ـ الشيعة.

فإن شيعة علي عليه السلام هم أتباعه وأهل بيته عليهم السلام على الحقيقة لا على الإدعاء فمن شيعته على سبيل المثال ـ عمرو بن الحمق الخزاعي الذي يقول للإمام عليه السلام: فوالله لو كلّفت نقل الجبال الرواسي، ونزح البحار الطوامي أبداً حتى يأتي عليّ يومي في شيء أوهن به عدوك، وأقوّي به وليك، ويعلي الله كعبك، ويفلِج الله عليّ به حجتك، ما ظننت أنّي أدّيت كلّ الّذي (يحق) عليَّ من حقِّك. فقال عليّ: اللهمّ نوّر قلبه باليقين وأهده الصراط المستقيم، ليت في جندي مائة مثلك[1].

ومن شيعته حجر بن عدي، وميثم التمار، ورشيد الهجري وغيرهم. وهؤلاء قد أتى عليهم معاوية فقتلهم بعد أن رأى منهم الثبات والولاء لأهل البيت عليهم السلام، كما قام بتهجير الشيعة من الكوفة والبصرة إلى مناطق بعيدة كإيران وما يجاورها.

---

(١) المعيار والموازنة: أبو جعفر الإسكافي، ص٢٨.

فالخيانة التي أتهم بها الشيعة هي في حقيقتها ترجع إلى غير أشياع علي وأهل بيته، ولو كان كل من يقول: أنا شيعي يصبح شيعياً على الحقيقة ـ حسب فهمكم ـ لكان المنافقون هم من أصحاب رسول الله حيث كانوا يتردّدون على الرسول ويقولون: نشهد إنّك لرسول الله وقد كذّب الله إدعائهم وشهادتهم: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1].

إذن لا يمكن الإعتماد على الإدعاءات والأقوال ما لم تتوج بالأفعال، فلو كان هؤلاء للإمام عليه السلام شيعة لاتبعوه، ولما تردّدوا أو نكصوا عن نصرته، وهذا الأمر ينسحب على باقي الأئمة عليهم السلام وأتباعهم، ومن يدعي اتّباعهم.

* * *

(١) سورة المنافقون: الآية ١.

الشبهة السابعة: إن من بين شيعة علي أتباع لعبد الله بن سبأ

وكتب الدكتور عماد علي في هامش ص٢٩: «لا نستطيع أن نقول إن شيعة علي في هذا الوقت كانوا كلهم غلاة، بل كان فيهم أفاضل أخيار، ولكن لا ننسى أنه كان بينهم السبأية اتباع عبد الله بن سبأ الذي غالى في علي حتى ألهه وعكف على إشعال الثورة والفتنة و...».

الجواب: النبأ في أسطورة عبد الله بن سبأ

مصدر الروايات في عبد الله بن سبأ هو روايات الطبري، والطبري اعتمد في موضوع عبد الله بن سبأ على روايات سيف بن عمر وعلى روايات السري وكلاهما متهم بالكذب والوضع عند رجال الحديث، وقد جاءت المصادر المتأخرة عن الطبري، وكررت رواياته دون تمحيص، ولم تذكر المصادر المتقدمة مثل اليعقوبي أو البلاذري أو ابن أعثم وغيرهم قصة ابن سبأ، وعليه يتضح عدم صدق الأخبار الواردة في عبد الله بن سبأ والتي أثبت أهل العلم والتحقيق اضطرابها وكذبها وقد جاءت من أجل التشكيك والنيل من الشيعة، بأنهم أتباع اليهود وأفكارهم مأخوذة من وحي الأفكار اليهودية التي بثها ابن سبأ الموهوم، ومن أجل الوقوف على حقيقة نبأ ابن سبأ ندعو القارئ الكريم إلى مطالعة كتاب: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى للسيد مرتضى العسكري. وكتاب: عبد الله بن سبأ دراسة تأريخية حيث توصلوا إلى حقيقة قاطعة لا تقبل الشك في أن ابن سبأ هو شخصية وهمية وذلك من خلال استقصاء وتتبع الروايات ومحاكمتها وفقاً لموازين الجرح والتعديل.

الشبهة الثامنة: خيانة الوزير الشيعي علي بن يقطين

ذكر الدكتور عماد علي في ص٣٩ المبحث الثالث حول «خيانة الوزير الشيعي علي بن يقطين في عهد هارون الرشيد وذكر رواية نقلاً عن الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائري مفادها: أن علي بن يقطين هدم سقف السجن على المحبوسين من المخالفين وكانوا خمسمائة رجل واستفتى الإمام الكاظم(ع) بذلك فافتى بأن يكفر عن كل رجل قتله بتيس والتيس خير منه».

الجواب: نزاهة الوزير علي بن يقطين

لاحظنا أن الدكتور عماد علي لديه رغبة جامحة تدفع به للنيل من الشيعة حتى لقد تغشاه التعصب فلم يكلّف نفسه المسبلة العنان أن تتحرى العدل والإعتدال في إماطة اللثام عن وجه الحقيقة، فالرواية التي تعلق بأذيالها فاقدة الصحة من حيث الدلالة؛ فلا يمكن لعلي بن يقطين أن يأتي على هدم سقف المحبوسين فيهلكهم عن آخرهم، لاسيما وأن عيون هارون الرشيد كانوا يترصدونه حتى في وضوئه وصلاته ثم لماذا لم يكن لهذه الحادثة ذكر وتطبيل في كتبكم؟ ولماذا لم ترفع أسر الضحايا شكوى ضد علي بن يقطين؟ أو من كان له ظهيراً في هذه الحادثة المبتدعة؟ وربما ظنّ الدكتور عماد أن لدى علي بن يقطين مواد متفجرة زرعها في الحبس قضت على من زج به هارون إلى السجن فأصبحوا خامدين!!!.

وللتذكير والتنبيه فان سجون خلفاء بني أمية وبني العباس كانت مليئة بالشيعة أنفسهم واتهموهم بنفس اللهجة التي يتحدث بها -

الدكتور عماد علي ـ فقتلوهم على الهوية والظن والتهمة.

ثم أن الرواية ضعيفة سنداً، ولم تذكرها الكتب المعتبرة عند الشيعة، وقد ذكرها السيد نعمة الله الجزائري بغضاً للنواصب ممن دينه وديدنه العداء لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم.

وندعو الدكتور عماد لمطالعة كتب التاريخ ليشاهد عمليات القتل المجاني التي وقعت على الشيعة لا لشيء سوى إتّباعهم لأهل البيت الذين أمر الله بمودتهم وكمثال يمكنك مطالعة كتاب مقاتل الطالبيين لترى الأسباب التافهة وراء قتل الطالبيين فضلاً عمن شايعهم، وأذكر لكم رواية واحدة من باب الشاهد عن كتاب «الدر النظيم» حيث: روى عبد السلام الواسطي بإسناده يرفعه إلى أحمد بن حنبل قال: وجدت رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة يستغيث وهو يبكي ويتضرع إلى الله سبحانه في جوف الليل فتقدّمت إليه فقلت: يا أخي ما شأنك؟ فقال: أنا رجل من البنّائين الذين كانوا بين يدي المنصور، وإني أحدثك بأمر عجيب على أنك تكتمه عليَّ. فقلت: لك الله بذلك شهيد عليَّ أنني لا أذيعه ما دمت حياً. قال: دعاني المنصور غداة ليلة وأخرج إليَّ ستين علوياً وقال: إياك أن يأتي الصباح إلاّ وقد بنيت عليهم وواريتهم. قال: فبنيت على تسعة وخمسين رجلاً وأنا على وجل من ذلك، وبقي غلام لا نبات بعارضيه... له فتأملت وانسللت فخرجت فالتقاني... السلطان وأخذوني ولا يشعر بي ولا إلى ما صار

أمري فلذلك أبكي كيف خالفت أمرها[1] وأزعجت قلبها، وأنا أسأل الله تعالى أن لا يؤاخذني بذلك وأن يحسن الخلافة ويربط على قلبها بالصبر ويعظم لها الثواب والأجر[2].

إن هذه الجريمة النكراء في حق العلويين وقعت في ليل بهيم واستغنى المنصور والشخص المنفذ عن التكفير بتيس!!.

ثم إن الدكتور عماد علي أخذ به العجز إلى الخلط والخبط في اتهام الإمام موسى الكاظم عليه السلام في تلك الحادثة المزعومة حيث أن علي بن يقطين طبقاً للرواية المكذوبة يستفتي الإمام الكاظم فيجيبه: بأنك لو كنت تقدّمت إلي قبل قتلهم لما كان عليك...

لقد أزبد الدكتور عماد وأرعد، من أجل أن ينال من الشيعة لكن ذلك ذهب جفاءً، وإننا لنربأ عن مسلم ينتمي إلى دين الإسلام العظيم، ويأخذ تأسيه من الرسول الكريم أن يملك تلك الروح العدائية المستحكمة، لكنها الطائفية التي سايرت السلطات الجائرة، وتغذت من أحاديثها الملفقة، وغدت تعيش على سقطات الآخرين، وتتهمهم بالخيانة تبعاً لنبرة السلطة، فكان الشيعة وعلى مدى دهر متطاول ضحية تلك الأفكار الجاهلية المتصلبة والتي لبست ثوب الإسلام.

والإمام موسى الكاظم عليه السلام فوق الشبهات، وقد عرفه من تتبع

---

(١) أمر الخلافة.

(٢) الدر النظيم: ص٨٠١ ـ ٨٠٢.

سيرته الكريمة المعطاء، أو عاصره آنذاك، وإليك بعض النصوص التي كتبها العلماء في حق الإمام الكاظم عليه السلام:

١ ـ قال أبو حاتم: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين[١].

٢ ـ قال الخطيب البغدادي: كان سخياً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه، فيبعث إليه بصُرّة فيها ألف دينار، وكان يصرّ الصرر: ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار ثم يقسّمها بالمدينة، وكان مثل صرر موسى بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرّة فقد استغنى[٢].

٣ ـ قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد الجادّ في الإجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي (كاظماً). كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمّى بـ (العبد الصالح) ويعرف في العراق بـ (باب الحوائج إلى الله) لنجح مطالب المتوسّلين إلى الله تعالى به. كراماته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند الله قدم صدق لا تزال ولا تزول[٣].

٤ ـ قال أبو علي الخلال ـ شيخ الحنابلة ـ: ما همّني أمر فقصدت

(١) تهذيب التهذيب: ج١٠ ص٢٤٠.
(٢) تاريخ بغداد: ج١٣ ص٢٧.
(٣) مطالب السؤول: ص٨٣.

قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به، إلا وسهّل الله تعالى لي ما أحبّ[١].

٥ ـ قال شمس الدين الذهبي: كان موسى من أجود الحكماء، ومن عباد الله الأتقياء، وله مشهد معروف ببغداد[٢].

٦ ـ قال أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني: هو الإمام الكبير القدر، الأوحد، الحجّة، الساهر ليله قائماً، القاطع نهاره صائماً، المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين (كاظماً) وهو المعروف عند أهل العراق بـ (باب الحوائج) لأنه ما خاب المتوسّل به في قضاء حاجة... له كرامات ظاهرة، ومناقب باهرة، افترع قمة الشرف وعلاها، وسما إلى أوج المزايا فبلغ علاها[٣].

وهناك أقوال كثيرة لعلماء من مختلف الملل والنحل أثنت على الإمام الكاظم عليه السلام لكننا اكتفينا بهذه الأقوال التي تشير إلى أن الإمام عليه السلام كان قد أسدى معروفاً، وقدّم خدمات جليلة للإنسانية ولأجله استحق الثناء والإطراء.

* * *

(١) تاريخ بغداد: ج١ ص١٢٠.

(٢) ميزان الاعتدال: ج٣ ص٢٠٩.

(٣) أخبار الدول: ص١١٢.

الشبهة التاسعة: خليفة عباسي يتشيع وتثبت خيانته

قال الدكتور عماد علي ص٤٣ في المبحث الرابع: خليفة عباسي يشيع وتثبت خيانة وتشيع الخليفة الناصر لدين الله بفعل بعض وزرائه الروافض قال عنه ابن كثير رحمه الله: «الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي المظفر يوسف بن المتقي لأمر الله... العباسي... كان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم، فحزب في أيام العراق وتفرق أهله في البلاد، وكان يفعل الشيء وضده.. وكان أعتنق المذهب الشيعي.. ويقال كان بينه وبين؟ مراسلات حتى أطمعهم في البلاد، وهذه طامة كبرى يصغر عندها كل ذنب عظيم.

الجواب: خليفة عباسي لم يتشيع وتثبت خيانته

لم يسلم من تقولات الدكتور عماد علي حتى أبناء مذهبه كإبن كثير. فقد تصرّف هذا الدكتور بالنص ووضع معاني لا تحتملها عبارات ابن كثير التي أوردها في كتابه «البداية والنهاية»، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل إن الدكتور لم يكن دقيقاً في مطالعة ونقل النص؛ إذ أن ابن كثير ينقل العبارة عن ابن الأثير صاحب «الكامل في التاريخ» فالعبارة ليست لابن كثير كما توهمها الدكتور. وليته طالع الكتب التأريخية، أو كتب التراجم ليعرف مدى صحة إدعائه، قبل أن يطلق كيل الإتهام جزافاً تشنيعاً على الشيعة.

وفيما يلي نورد ترجمة موجزة عن الناصر لدين الله، ومن ثم ننقل النص الأصلي عن ابن كثير في كتابه: «البداية والنهاية» ليتبين الرشد من الغي.

هو أحمد الناصر لدين الله أبو العباس بن المستضيء بأمر الله... خطب له بولاية العهد أبوه قبل موته بثمانية أيام في غرة ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ومولده في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة عمر المساجد والأربطة والمدارس[١]. وقال ابن النجار: وملك من المماليك ما لم يملكه من تقدمه من الخلفاء والملوك وخطب له بالأندلس والصين وكان أسد بني العباس[٢].

أما ما يدل على توهم الدكتور عماد علي في نسبة التشيع للناصر العباسي هو ما نقل بعض المؤرخين من أخبار حيث ذكر الصفدي أن «الناس يتهيبون لقاءه وظهر التشيع بسبب ابن الصاحب ثم انطفى بهلاكه، وظهر التسنن المفرط ثم زال، وظهرت الفتوة...»[٣]. والعبارة نفسها يذكرها ابن شاكر الكتبي فيقول: «...وظهر التشيع في أيامه ثم انطفأ وشهر التسنن المفرط ثم زال وظهرت الفتوة...»[٤].

وهذه العبارات لا يفهم منها تشيع الخليفة العباسي الناصر لدين الله كما هو واضح، ثم إن الخليفة العباسي المذكور نفى عن نفسه دعوى الانتساب إلى التشيع وقد رد على ذلك أبيات أنشدها:

زعموا أنني أحــــبّ عليــّاً ... صدقوا كلّهم لديَّ علــيٌّ
كـلّ مــن صحــب النبي ولو ... طــرفة عين فحقّه مرعــيٌّ

---

(١) المختصر من تاريخ ابن الدبيثي: ص١٠٣.
(٢) الوافي بالوفيات: ج٦ ص١٩٤.
(٣) المصدر نفسه: ج٦ ص١٩٢.
(٤) فوات الوفيات: ج١ ص١١٨.

فلقد قلَّ عقل كـــلّ غبيٍّ   هو من شيعة النبي بريٌّ[١].

ثـم إن هنـاك قـرائن أخـرى تـدل علـى عـدم تـشيعه وهـو معرفـة مشايخه، أو من أجاز لهم عنه، أو كتابه الذي أمر بقراءته على النـاس في جوامع بغداد، وإن كان بعض المؤرخين يـرى أن ذلـك نوعـاً مـن التضخيم؛ فقد قال الذهبي: «وذكر أشياء في تضخيم أمره منها: فجمع كتاباً سماه (روح العارفين) يشتمل علـى أحاديـث رواهـا عـن شـيوخ أجازوا له منهم: أبو الحسين بن يوسـف وأذن بالإجـازة فيـه لجماعـة، وقريء هذا الكتاب بجوامع مدينة الـسلام فـي أكثـر مـن مائـة موضـع وبغيرها»[٢].

ثم إن الذي تولى غسله وتكفينه ودفنه فـي مقـابر الخلفـاء جماعـة من وجوه السنة فقد ورد عن ابن كثير: «وكان الذي ولي غسله محيـي الدين ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، وصـلى عليـه ودفـن فـي دار الخلافة، ثم نقل إلى الترب من الرصافة»[٣].

وعود على بدء فإن النص الـذي تـصرّف بـه الـدكتور عمـاد علـي ننقلـه بالكامـل عـن مـصدره الأصـل وهـو «البدايـة والنهايـة» ليعـرف القاريء مدى حجم التلاعب بالنصوص والألفاظ كل ذلك مـن أجـل التشفي من الشيعة، وإشباع نزعة العداء المتأصلة في ذات أصولهم.

مع العلم أن الشيعة كانوا ولا زالوا في خدمة الـدين الحنيـف وهـم

---

(١) الوافي بالوفيات: ج٦ ص١٩٥؛ وفوات الوفيات: ج١ ص١١٩.

(٢) المختصر من تاريخ ابن الدبيثي: ص١٠٣.

(٣) البداية والنهاية: ج١٣ ص١٢٥.

يلتزمون تعاليم النبي وأهل بيته الأطهار؛ ولولا ضرورة الدفاع عن المذهب الحق لنزهت يدي عن الإمساك بالقلم للرد على مثل هذه التقولات التي اعتصمت بالتعصب لا بالدليل، وإليك النص:

«الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله، أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله... العباسي،... وأما ابن الأثير في كامله فإنه قال: وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلاً من الحركة بالكلية، وقد ذهبت إحدى عينيه، والأخرى يبصر بها إبصاراً ضعيفاً، وآخر الأمر أصابه دوسنطارية عشرين يوماً ومات، وزر له عدة وزراء، ولم يطلق في أيام مرضه ما كان أحدثه من الرسوم الجائرة، وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم، فخرب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم، وكان يفعل الشيء وضده، فمن ذلك أنه عمل دوراً للإفطار في رمضان ودوراً لضيافة الحجاج، ثم أبطل ذلك، وكان قد اسقط مكوساً ثم أعادها وجعل جل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة. قال ابن الأثير: وإن كان ما يشبه العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتار في البلاد وراسلهم فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم[1]».

فأين هو اعتناق الخليفة العباسي الناصر لمذهب التشيع كما يدعي الدكتور عماد؟! وهل في النص عبارة تشعر بما أدعيت يا دكتور

(١) البداية والنهاية: ج١٣ ص١٢٤ ـ ١٢٥.

بقولك: «وكان اعتنق المذهب الشيعي».

ثم إن ابن كثير نفسه قام بتدليس عبارة ابن الأثير فجعلها شرطية من أجل تضعيفها، وإنزالها إلى مستوى الحادثة المحتملة لا الحادثة الصحيحة الوقوع والتي أخبر بها ابن الأثير، ولنأتي على ذكر العبارتين:

قال ابن الأثير: «فكان غرام الخليفة بهذه الأشياء من أعجب الأمور، وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنّه هو الذي أطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك؛ فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم»[1].

أما ابن كثير فنقل عبارة ابن الأثير بالنحو التالي: «قال ابن الأثير: وإن كان ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنّه هو الذي أطمع التتار في البلاد وراسلهم فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كلّ ذنب عظيم»[2].

إن بيت القصيد في نسبة الخليفة العباسي إلى التشيع ليدرأوا عن أنفسهم تلك الطامة الكبرى في أن خليفتهم وولي أمرهم أطمع التتار في البلاد الإسلامية وراسلهم، وما أسهل ذلك في تلبيسه على طائفة مستضعفة هم الشيعة ليخلصوا نجياً من تهمة الخيانة!!!.

* * *

(١) الكامل في التأريخ: ج١٢ ص٤٤٠.

(٢) البداية والنهاية: ج١٣ ص١٢٥.

الشبهة العاشرة: الدولة الفاطمية وخيانتها في محو السنة ونشر التشيع

وكتب الدكتور عماد علي في (ص ٤٥ . ٥٨) بحثاً يحمل عنوان: «الدولة الفاطمية وخياناتها في محو السنة ونشر التشيع: ومما قال في المبحث وهو كثير ونأخذ منه ما تيسر من باب الشاهد: «لقد بذلت الدولة الفاطمية جهوداً خبيثة في محو السنة ونشر التشيع، وكانت خطتها المتبعة أنه في حال غياب الدولة توزع الدعاة سراً ليقوموا بالدعوة إلى مذهب الإسماعيلية الشيعي، وفي حالة أن تكون لهم دولة فإنهم يجعلون الدين الرسمي للدولة هو المذهب الشيعي» وقد وضع هامش في أسفل الصفحة في ان الإمامية الإسماعيلية يقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق والإمامية الموسوية يقولون بإمامة موسى بن جعفر الصادق وهم الإثني عشرية وكلا الإماميتين خبيث.

الجواب: الدولة الفاطمية وخدماتها في إحياء السنة ونشر التشيع

قبل الإجابة على ما ذكره الدكتور عماد علي نود الإشارة إلى أننا لسنا ندّعي الدفاع عن الدولة الفاطمية بكل خصوصياتها، لكن لا بأس بأن نذكر شيئاً مما قامت به تلك الدولة رعاية للعدل الذي أُمر به المسلمون حتى مع أعدائهم. وقد لاحظنا أن الدكتور المحترم مضافاً إلى قلّة إطلاعه بالحوادث التأريخية؛ قلّة ورعه عن الخوض في لجج الخصومات، وركوبه مركب الشحناء والبغضاء ضد من يخالفه في

مذهبه، ولم يلتزم الدكتور الحكمة والموعظة الحسنة، أو الجدال بالتي هي أحسن.

فشأن رجل العلم الحقيقة والإنصاف، ولا يجمل بكرامته أن يتعداها إلى شؤون أخرى.

وسأذكر بعض الأقوال لرجال سلكوا سبيل العلم وأعرافه، فرشحت من أقلامهم كلمات في حق الدولة الفاطمية:

١ ـ قال عبد الحليم الجندي: المسلمون يدينون للدولة الفاطمية بالجامع الأزهر، الذي حفظ القرآن والسنة واللغة العربية، وعلومها كافة[1].

٢ ـ كتب الدكتور عبد المنعم ماجد أستاذ التأريخ الإسلامي بكلية الآداب في جامعة عين شمس في كتابه «ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها» في الطبعة الرابعة الصادرة سنة ١٩٩٤م، ص٤٠٧. قال الدكتور ماجد: إن تاريخ الخلافة الفاطمية في مصر كان غامضاً إلى عهد قريب جداً. فقد كانت معظم مصادرها التاريخية لا تستقى من منابعها، أو أنها غير موجودة، أو مزيفة، أو مضطربة، أو جافة، أو مختصرة، فضلاً عن أن معظمها مصادر أدبية لا تعطي فكرة صحيحة عنهم، ولكن بفضل ما حصلنا عليه من وثائق، أو مخطوطات مكتوبة بأقلام معاصرة، تمكّنا من أن نكوّن تاريخاً صحيحاً للفاطميين في مصر. فهذه الدولة الفاطمية أثارت إنتباه المؤرخين والمحدثين

(١) الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ص٤.

بحيويتها المتدفقة التي أوجدتها في جسم الإسلام الذي كان قد شاخ على يد الدولة العباسية، فتأريخها منذ انتقالها إلى مصر أشبه بملحمة كبرى: دعوة إلى وحدة العرب في المشرق والمغرب، جهاد بضراوة على أعداء الإسلام، نشر الحضارة الإسلامية على نطاق واسع[(١)].

٣ ـ قال المؤرخ المصري الدكتور محمد كامل حسين: فالقاهرة الفاطمية أصبحت مطمح أنظار العلماء ومحط رحال الطلاب، وفي العصر الفاطمي استطاعت مصر أن تنتزع زعامة العالم الإسلامي في الحياة العلمية[(٢)].

ويقول أيضاً: ولا أكاد أعرف دولة من الدول الإسلامية أقامت للشعراء هذا التمجيد أو اهتمت بهم هذا الاهتمام فلا غرو إذاً إن أزدهر الشعر المصري إزدهاراً لم يعرف من قبل[(٣)].

٤ ـ وشهد عمر الإسكندري للدولة الفاطمية بأنها: من أعظم دول الإسلام ملكاً، وأشدّها للعلم أزراً، وأطولها على الناس عائدة وفضلاً، وأرقاها حضارة وأدباً[(٤)].

وهناك أقوال عديدة تمجد بدور الدولة الفاطمية في الحضارة الإسلامية عزفنا عن إيرادها رعاية للإختصار.

---

(١) الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي: ص٢٥٨.
(٢) مستدركات أعيان الشيعة: ج٢ ص٣٦٣.
(٣) الشيعة من الإمام علي حتى الإمام الخميني: ص٢٨ ـ ٢٩.
(٤) تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: ص٢٣٠.

لقد وسم الدكتور «عماد» الدولة الفاطمية بأنها دولة خبيثة عملت على نشر التشيع وكانت دولتهم متعصبة!

لقد عرف الفاطميون بتسامحهم الديني، وعدم تعصبهم حتى أن الخليفة الحاكم أضاف إلى العلماء الإسماعليين طائفة من فقهاء أهل السنة ومحدثيها، وعلى رأسهم عبد الغني بن سعيد الفقيه الشافعي المشهور والذي يُعد أكبر حفاظ الحديث المصريين في زمنه[١]. وجنادة بن محمد اللغوي، وعلي بن سليمان المقري النحوي، وكان هؤلاء الفقهاء الثلاثة يجتمعون في دار العلم، وتجري بينهم محاورات ومناظرات في الآداب وفي عهد الخليفة.

الظاهر، قدم إلى مصر الشاعر البغدادي عبد الوهاب بن نصر المالكي، وهو من أهل بغداد وكان فقيهاً مالكياً، وقد استقبل في القاهرة على الرغم من اعتناقه المذهب السني أحسن استقبال، وأغدقت عليه الهبات والعطايا، ولكن أدركه المرض، وكان يقول وهو في مرضه: «لا إله إلا الله عند ما عشنا متنا»، وتوفي بمصر في نفس العام الذي أتى فيه حينئذٍ وهو ٤٢٢هـ[٢].

حتى أن بعضهم تولى مسؤوليات ضمن إطار الدولة كما هو لأبي عبد الله القضاعي الفقيه والمحدث والمؤرخ وهو محمد بن سلامة بن

---

(١) وفيات الأعيان: ج٣ ص٢٢٣؛ وخطط المقريزي: ج١ ص٤٥٩.

(٢) وفيات الأعيان: ج٣ ص٢٢٠.

جعفر، ولد بمصر في أواخر القرن الرابع الهجري، وتوفي سنة ٤٥٤هـ وكان من أقطاب الحديث والفقه الشافعي تولى القضاء وغيره من مهام الدولة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي[١].

ونظراً لما عهده فقهاء المذاهب الأخرى من رغبة الفاطميين في تحقيق وحدة المسلمين، وتسامحهم الديني، فقد رثى الفقيه عمارة اليمني تلك الدولة لما زالت على يد صلاح الدين الأيوبي بقصيدة لاهية وهي من البسيط في أبيات كثيرة منها:

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حسن الحلي بالعطل

سعيت في منهج الرأي العثور فإن ... قدرت من عثرات الدهر فاستقل

جدعت مارنك الأقنى فانفك لا ... ينفك ما بين أمر الشين والخجل

هدمت قاعدة المعروف عن عجل ... سقيت مهلاً أما تمشي على مهل؟

لهفي ولهف بني الأيام قاطبة ... على فجيعتها في أكرم الدول

قدمت مصراً فأولتني خلائفها ... من المكارم ما أربى على الأمل

....

والله لا زلت عن حبي لهم أبداً ... ما أخّر الله لي في مدة الأجل[٢]

كلمة أخيرة نريد أن نقولها للدكتور عماد علي في خصوص الدولة الفاطمية وهي أن الخليفة الفاطمي العاضد كان قد استعان

---

(١) انظر: الأزهر في ألف عام: ج١ ص٦٠ ـ ٦٣.

(٢) الوافي بالوفيات: ج١٧ ص٣٦٨ ـ ٣٧٠.

بسلطان دمشق نور الدين محمود السني لرد غائلة الصليبين وهو دليل على تناسي الفاطميين لخلافاتهم المذهبية ودعوتهم للوحدة في مقابل عدوهم المشترك، وليتك تتعلم من التأريخ هذا التآخي وتبتعد عن أخلاق أهل الشنآن، ونسأل الله تعالى أن يهديك إلى طريق المحبة والرحمة للمسلمين جميعاً.



الشبهة الحادية عشرة: الوزير الشيعي أبو علي محمد بن علي بن مقلة يخطط لإزالة خلافة بني العباس

وكتب الدكتور عماد علي في (ص٧١) مبحثاً عنوانه «خيانات البويهيين» ومما قال فيه: «...كان خليفة الوقت الراضي بالله محمد بن المقتدر العباسي له وزير شيعي يسمى أبو علي محمد بن علي بن مقلة، أخذ يخطط ويدبر لإزالة الخليفة العباسي والتمكين لبني بويه المتشيعين فأخذ يكتب للبويهيين يطمعهم في بغداد والخلافة، ويصف لهم الحال الذي عليه الخليفة من الضعف، حتى قدم معز الدولة بن بويه إلى بغداد واستولى عليها سنة ٣٣٤هـ...».

الجواب: معلومات تاريخية غير صحيحة

قبل الإجابة عن المعلومات التأريخية الخاطئة التي قدمها للقراء، نود تقديم نصيحة عملية ـ للمؤلف ـ لعله يتذكّر أو يخشى وهي عند ما يريد أن يتناول شخصاً أو طائفة من الناس عليه أن ينضي عنه ثوب الضغن المستكن في خبيئة نفسه، ويتوجه إلى طلب الحقيقة من مظانها الأولية، ولا يكتفي بالإتكاء على مصدر واحد أو مصدرين.

وفيما يلي عرضاً مختصراً للمعلومات التاريخية الصحيحة حول محمد بن علي بن مقلة الذي اتهمه الدكتور بالخيانة: قال عنه ابن النديم: أبو علي محمد بن علي بن مقلة، مولده بعد العصر من يوم

الخميس لتسع بقين من شوال سنة إثنتين وسبعين ومائتين. وتوفي يوم الأحد لعشر خلون من شوال سنة ثمان وعشرين وثلثمائة[١]. وترجم له صاحب كشف الظنون فقال: ومن الوزراء الكتاب أبو علي محمد بن علي بن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ ثمان وعشرين وثلثمائة وهو أول من كتب الخط البديع (المنسوب) كان ابن مقلة أوّل من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وأبرزها في هذه الصورة وله بذلك فضيلة السبق وخطه أيضاً في نهاية[٢].

إلى هنا يتبين أن الوزير محمد بن علي بن مقلة قد توفي في سنة ٣٢٨ هـ، وهو خلاف ما أورده الدكتور عماد علي بقوله: «أخذ يخطط ويدبّر حتى قدم معز الدولة بن بويه إلى بغداد واستولى عليها سنة ٣٣٤هـ».

وليس هذا فحسب؛ بل إن الوزير محمد بن علي بن مقلة كان قد عزل عن الوزارة قبل وفاته حيث استوزر الخليفة الراضي أحد معاونيه بعده وهو أبو علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجزاح، ثم أبا جعفر بن القاسم الكرخي ثم استوزر ثلاثة آخرين إلى أن توفي الخليفة الراضي محمد بن جعفر المقتدر سنة ٣٢٩هـ وله اثنتان وثلاثون سنة وأشهر، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام[٣].

---

(١) فهرست ابن النديم: ص١٢.

(٢) كشف الظنون: ج١ ص٧١١.

(٣) للمزيد من الإطلاع انظر: التنبيه والإشراف: ص٣٣٦ ـ ٣٣٧.

فإذا كان ابن مقلة قد توفي في سنة ٣٢٨هـ وبعده بسنة توفي الخليفة الراضي فكيف أخذ الوزير ـ المتوفى والمدعى عليه ـ بالتخطيط لإزالة الخليفة الراضي، ويستولى معز الدولة على بغداد سنة ٣٣٤هـ؟!.

ثم إن الخليفة الراضي قد حكم مدة ستة سنين وأشهر واستوزر ستة وزراء فلو قسمنا نصيباً للوزراء على هذه المدة الوجيزة لأصبح سهم كل وزير سنة من الوقت فهل يستطيع الوزير ابن مقلة أن يقوم بهذا الدور الخطير في هذه المدة لا سيما وأنّه تقدّم على غيره في حقيبة الوزارة؟!.

يا دكتور عماد: ان الوزير محمد بن علي بن مقلة قد ذكره المؤرخ المسعودي[1] المتوفى سنة ٣٤٥هـ وهو من المعاصرين له، فلم ينبزه بجريرة ارتكبها، أو خيانة ارتشف من كأسها، وهو دليل على براءته من التهمة المسندة إليه من قبلكم في تواطئه ضد الخلافة العباسية.

* * *

(١) انظر التنبيه والإشراف: ص٣٣٦ ـ ٣٤٧.

الشبهة الثانية عشرة: الشيعة يلهون ويلعبون والروم ينتهكون حرم الديار الإسلامية

كتب الدكتور عماد علي في (ص ٧٢): «وفي هذه الآونة . من سنة ٣٥٢ . التي كان يلهو فيها الشيعة البويهيون ويلعبون ويضعفون سلطان السنة كان الروم ينتهكون حرم الديار الإسلامية».

الجواب: الشيعة يدافعون عن حرم الديار الإسلامية

وقع الدكتور عماد علي في الاشتباه مرة أخرى، وذهب بها عريضة فأخذ ينعى على الإسلام وأهله «خيانات وجنايات الشيعة!!!».

غير انه قد نأى بنفسه بعيداً عن الواقع التأريخي حيث أن الشيعة كانوا في حلب ودمشق وديار بكر يدافعون عن البلاد الإسلامية، في وجه الهجمات الشرسة التي كان يقوم بها الروم؛ فقد كان لسيف الدولة بن حمدان أربعون وقعة له وعليه مع الروم، وهو ما تكفلت بتوضيحه الكتب التاريخية والرجالية، وقد أشاروا إلى هويته الدينية في تشيعه وإليك ما يقوله الصفدي: «وكان سيف الدولة قد استولى أولاً على واسط ونواحيها وتنقلب به الأحوال فانتزع حلب وكان إمامياً متظاهراً بالتشيع كثير الأفضال على الطالبيين وأشياعهم ومنتحلي مذهبهم»[(١)] وقال الصفدي أيضاً «كان سيف الدولة بطلاً فقيهاً شاعراً أديباً بليغاً ملك ديار مصر وديار بكر ودمشق وحلب وكانت حلب دار ملكه ومقر عزه وله مع الروم أربعون وقعة له

---

(١) الوافي بالوفيات: ج٢١ ص١٢٨.

وعليه»[١].

أما الذهبي فقد ترجم له بقوله: «سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، صاحب حلب، مقصد الوفود، وكعبة الجود، وفارس الإسلام، وحامل لواء الجهاد. كان أديباً مليح النظم، فيه تشيع... وهزم العدو مرات كثيرة. يقال: تم له من الروم أربعون وقعة، أكثرها ينصره الله عليهم»[٢]. وقد صنف له بعضهم مصنفات كما هو للحافظ السبيعي الحلبي الذي كان وجهاً عند سيف الدولة فصنف له كتاب: «التبصرة في فضل العترة المطهرة»[٣] كما صنف محمد بن الحسين الأزدي كتاباً في مناقب علي رضي الله عنه وقدّمه لسيف الدولة[٤] كما مدحه الشعراء ومنهم الناشئ الصغير الشيعي، والمتنبي[٥] أما الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر فقد مدح بني حمدان الشيعة وملوكهم وخاصة سيف الدولة بقوله: «كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم، وكان رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه عزة الزمان، وعماد الإسلام، ومن به سداد الثغور، وسداد الأمور. وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها، وتنزع لباسها، وتغل أنيابها، وتذل صعابها، وتكفي

(١) المصدر نفسه: ج ٢١ ص١٢٧.
(٢) سير أعلام النبلاء: ج١٦ ص١٨٧ ـ ١٨٨.
(٣) المصدر نفسه: ج١٦ ص٢٩٧.
(٤) لسان الميزان: ج٥ ص١٣٩.
(٥) سير أعلام النبلاء: ج١٦ ص٢٢٢.

الرعية سوء آدابها، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار، وتحسم شرهم المثار، وتحسن في الإسلام الآثار، وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرجال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء...»[١].

لو رجع الدكتور عماد علي قليلاً إلى الوراء لمتابعة الأحداث التأريخية، لشاهد الشيعة في بلاد الشام يذبّون عن حياض الإسلام بزعامة سيف الدولة بن حمدان، وسوف نذكر ـ من باب المثال لا الحصر ـ بعض تلك الصولات التي كان يقوم بها الشيعة ضد الروم، وهي كما يلي:

في سنة (٣٤٥هـ) سار سيف الدولة بن حمدان في جيوش إلى بلاد الروم وغزاها حتى بلغ خرشة وصارخة وفتح عدة حصون وسبى وأسر، وأحرق، وخرب، وأكثر القتل فيهم، ورجع إلى أذنه فأقام بها حتى جاء طرسوس فخلع عليه وأعطاه شيئاً كثيراً، وعاد إلى حلب[٢].

وفي سنة (٣٤٩هـ) غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير فأثر فيها آثاراً كثيرة وأحرق وفتح عدة حصون وأخذ من السبي والغنائم والأسرى شيئاً كثيراً[٣].

وفي سنة (٣٥٠هـ) دخل غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميافارقين غازياً وأنّه في رمضان غنم ما قيمته قيمة عظيمة، وسبى

(١) يتيمة الدهر: ج١ ص٣٧ ـ ٣٨.
(٢) الكامل في التاريخ: ج٨ ص٥١٧.
(٣) المصدر نفسه: ج٨ ص٥٣٢.

وأسر وخرج سالماً[١].

وفي شوال من سنة (٣٥٢هـ) دخل أهل طرسوس بلاد الروم غازين، ودخلها أيضاً نجا غلام سيف الدولة بن حمدان من درب آخر، ولم يكن سيف الدولة معهم لمرضه...»[٢].

وهكذا يظهر من خلال الأحداث التأريخية أن الشيعة في بلاد الشام حين كان يتزعمهم سيف الدولة قد أوغلوا في بلاد الروم أسراً وقتلاً، وأنهم كانوا يدافعون عن حرم الديار الإسلامية.

* * *

(١) المصدر نفسه: ج٨ ص٥٣٧.

(٢) المصدر نفسه: ج٨ ص٥٤٧.

الشبهة الثالثة عشر: يوم عاشوراء وعيد الغدير ابتدعتهما الدولة البويهية

قال الدكتور عماد علي في (ص٧٢): «أمر البويهيون بأغلاق الأسواق في اليوم العاشر من المحرم، وعطلوا البيع ونصبوا القباب في الأسواق... وأقيمت النائحة على الحسين بن علي... وأصبحت هذه الفعلة تقليداً دينياً عند الجعفرية الإمامية الإثني عشرية... وكذلك ابتدع معز الدولة بن بويه الاحتفال بعيد يقال له عيد الغدير.

الجواب: عاشوراء والغدير يبغضان شيعة آل أبي سفيان

اعتاد الشيعة على إظهار الحزن في أيام عاشوراء لما وقع على الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وثقله من أهل بيت النبوّة في ذلك اليوم، وكان ذلك مفجعاً مقرحاً حقاً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فالحسين هو ريحانة الرسول الأعظم وسيد شباب أهل الجنة كما ذكرت ذلك كتب الفريقين وقد وقع عليهم القتل بأبشع صورة من قبل الذين تخلقوا بأخلاق الجاهلية، وبدل أن تبذل لهم الأمة مودتها ونصرها فقد تهيأت وتنقبت لقتاله من أجل دنياً زائفة وزائلة. والشيعة يحيون ذكرى ذلك الرزء العظيم حباً وتعاطفاً مع الحسين الشهيد في موقفه، وقد أخذوا ذلك تأسياً بالنبي صلى الله عليه وآله الذي حزن عليه وعقد مأتماً للحزن عليه عندما أخبره جبرائيل بمقتل ولده الحسين عليه السلام فكانت تفيض عيناه بالدموع كما في الرواية في المستدرك على الصحيحين «عن أم الفضل بنت الحارث... فولدت

فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ فدخلت يوماً إلى رسول الله فوضعته في حجره، ثم حانت منّي التفاتة، فإذا عينا رسول الله تهرقان من الدموع، قالت: فقلت: يا نبي الله! بأبي وأمي، مالك؟! قال: أتاني جبرئيل فأخبرني أن أمتي ستقتل إبني هذا، فقلت: هذا؟! قال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء» قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(١).

وهناك روايات أخرى بهذا الصدد عن الرسول وأهل بيته عليهم السلام صدفنا عنها اختصاراً.

هذه الطريقة في إظهار الحزن الشديد على سبط الرسول الأعظم لم ترق أو ترح بعض المتزمتين ممن تلقى تربيته الدينية وأخذها من أولئك الذين أسسوا أساس الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام، ولهذا تجدهم كلما أقيم مأتم على الحسين وأهل بيته يحملهم البغض في تعطيل تلك المراسم بشتى السبل.

ثم إن الدكتور عماد علي نراه يتجاهل حادثة الغدير، وقد اعترف بتواترها عدد كبير من العلماء على اختلاف مذاهبهم ونذكر منهم: المناوي الشافعي في كتاب «التيسير في شرح الجامع الصغير» ج٢

---

(١) مستدرك الحاكم: ج٣ ص١٧٦؛ مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧٩؛ ومقتل الخوارزمي: ج١ ص١٥٩، والفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي: ص١٤٥؛ والصواعق المحرقة: ص١١٥؛ والخصائص الكبرى: ج٢ ص١٢٥.

ص٤٤٢؛ شمس الدين أبو عبد الله الحافظ الذهبي، نقل كلامه بتواتر حديث الغدير ابن كثير في تاريخه في ج٥ ص٢١٣ ـ ٢١٤؛ ابن كثير الدمشقي في تاريخه في ترجمة محمد بن جرير الطبري؛ جلال الدين السيوطي في «الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة» وفي «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة». ونقل كلام السيوطي في تواتر الحديث: العلامة العزيزي في «شرح الجامع الصغير» ج٣ ص٣٦٠؛ الملا علي القاري الحنفي في «المرقاة في شرح المشكاة» ج٥ ص٥٦٨، وغيرهم من العلماء، ثم إن حديث الغدير قد ورد بطرق كثيرة عند المحدثين حتى بلغ عند أبي العلاء العطار الهمداني «٢٥٠» طريقاً، أما عند محمد اليمني فقد بلغ «١٥٠» طريقاً، وعند ابن عقده من «١٥٠» طريقاً، كما رواه أحمد بن حنبل من «٤٠» طريقاً.

ثم إن تسمية «عيد الغدير» ليست مستحدثة؛ بل هي ترجع إلى يوم الغدير نفسه، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وآله المهاجرين والأنصار وأزواجه والمسلمين في ذلك اليوم بتهنئة الإمام علي عليه السلام والتسليم عليه بالأمرة.

حتى أن علماء المذاهب الأخرى فضلاً عن الشيعة يسمونه عيداً فقد ذكر ابن خلكان وفاة المستنصر بالله العبيدي في ليلة عيد الغدير فقال: وهذه هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة الثامن عشر من شهر ذي الحجة وهو غدير خم[1].

(١) وفيات الأعيان: ج١ ص٦٠.

كما اعتبره أبو ريحان البيروني في مصنفه «الآثار الباقية»: مما استعمله أهل الإسلام من الأعياد[1]. وإذا كان الدكتور يبتغي الحقيقة فندعوه إلى مراجعة كتاب الغدير للعلامة الكبير عبد الحسين الأميني«قدس سره» وبعدها لينظر هل كان الشيعة في خدمة الأمة والإسلام أم...

* * *

(١) الآثار الباقية: ص٣٩٥.

الشبهة الرابعة عشر: خيانة الوزير ابن العلقمي للخليفة المستعصم مخامرته المغول

ذكر الدكتور عماد في ص٧٩ ـ ٨٣: خيانات الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي الشيعي في دخول التتار بغداد، ومراسلته لهولاكو، وتسريحه الجند (الجيش)، وهو الذي أشار على الخليفة بالخروج إلى هولاكو لتقع المصالحة بينهما فقتله هولاكو هو والأماثل من رجال الدولة.

الجواب: دفاع عن الحقيقة الضائعة

وقع الدكتور عماد في خطأ منهجي وعلمي وذلك أنه استقى معلوماته من مصدر واحد وهو كتاب (البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ) وهو بعيد عن الأحداث، ولم يأخذ الدكتور معلوماته من المصادر التي كانت معاصرة للأحداث مثل كتاب تاريخ ابن العبري المتوفى سنة (٦٨٥هـ)، أو ابن الطقطقي المتوفى سنة (٧٠٩هـ)، وغيرهم مما جعل اتهاماته لا تنهض أمام الأدلة التي سنوردها، وفيما يلي بيان ذلك:

تميزت مواقف علماء الشيعة بالاعتدال والاتزان إنطلاقاً من الأحاديث التي تأمر بأن يسلك الانسان سبيلاً وسطاً للخروج من فكي الافراط والتفريط.

وفي العصر العباسي الأخير كان الشيعة عرضة لحملات طائفية يقودها بعض العوام ضدهم، ولم يكتف أولئك المتطرفون بما يجري على الشيعة، بل استهدفوا علماءهم ورموزهم الدينية والسياسية، حيث سيقت ضدهم تهم باطلة وفي جميع الاتجاهات، وممن استهدف

آنذاك الوزير ابن العلقمي، والخواجة نصير الدين الطوسي، وأخذ العوام يساندهم بعض المتعصبين يفرغون ما تراكم في صدورهم من غلٍّ عليهم، ومما يبعث على الأسى أن بعض المؤرخين عرضوا الأحداث التأريخية بلهجة مذهبية متعصبة، وتغافلوا عن أقوال المؤرخين الذين لا يؤيدون سوابقهم المذهبية بسبب تضارب الأقوال بشأن ذلك العصر ورموزه مما جعل الحقيقة يكتنفها الغموض.

من أجل هذا سوف نسلط الضوء على الأحداث التي حصلت في نهاية العصر العباسي لتتبيّن لنا حقيقة الأمر في طبيعة التهم الملصقة بالشيعة وعلمائهم:

سطوة الطائفية ضد الشيعة في العصر العباسي الأخير

تمّت مصادرة حقوق الشيعة الحياتية والاجتماعية من قبل الخلفاء الأُمويين، وأكثر الخلفاء العباسيين، وأيضاً نبذوا وهُجروا من الناحية السياسية.

وقد تعرضوا للقتل والسبي وانتهاك أعراضهم لا لشيء سوى أنهم لا يوالون الخط المناقض للرسول وأهل بيتهعليهم السلام؛ وإليك بعض نماذج تلك السطوة وكيفية بدايتها بمنع الشعراء إلى أن تطورت، وذلك من خلال الحملات التي قام بها عوام الناس ضد الشيعة. فقد كان متعارفاً حينذاك أن يأتي الشعراء في أيام عاشوراء إلى الوزير ويقرأون قصائدهم في رثاء الحسين وأهل بيته إلا أنه في سنة ٦٤٧ هـ لم يحضروا عند الوزير ما عدا نفر واحد.

ففي أول المحرم سنة ٦٤٧ هـ لم يحضر أحد من شعراء الديوان إلا ابن أبي الحديد فأورد قصيدة[١]. وتم توجيه عدم مجيء الشعراء بفيضان دجلة!!

وفي سنة ٦٤٨ هـ منع أهل الكرخ والمختارة في بغداد من النياحة والإنشاد وقراءة مقتل الحسين عليه السلام؛ خوفاً من تجاوز ذلك إلى وقوع فتنة![٢].

وفي سنة ٦٥٠ هـ تجدد منع الشيعة من ممارسة شعائرهم الدينية، وبنفس الذريعة فمنعوا من قراءة المقتل في يوم عاشوراء خوفاً من وقوع الفتنة!!.

وفي سنة ٦٥٣ هـ قام أولئك الذين يطفّفون في موازينهم المذهبية بالهجوم على الشيعة في عقر دارهم بهجومين: الأول في المحرم، والهجوم الثاني في ذي القعدة، وقد ذكر ابن الفوطي ذلك فقال: «في محرم حدثت فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة، قتل فيها عدة كثيرة من الفريقين، ودام الشر بينهم، فأرسل الديوان طائفة من الجند نزلوا بين المحلتين لمنع الفتنة فمالوا على أهل الكرخ، ونهبوا الدور المتطرفة منها، ثم أخذوا خطوط[٣] المشايخ من أهل المحلتين بكف الجهال عن الشر، ونصبت أخشاب على أبواب المحلتين لصلب من

---

(١) العسجد المسبوك: الاشرف الغساني، ج٢ ص٥٧١.

(٢) الحوادث الجامعة: عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي، ص١٢٢.

(٣) خطوط المشايخ: أخذوا تعهداً من المشايخ من كلا الطائفتين «الشيعة والسنة» بكف الناس ونصحهم عن تبادل التهم فيما بينهم.

يثير الفتنة، فكفوا أنفسهم، ثم عادوا الى ذلك في ذي القعدة فخرج العسكر لكفهم عن ذلك فلم يمتنعوا وقتل بينهم خلق كثير، ثم اصطلحوا ظاهراً، فعاد العسكر عنهم، وتجدد بسبب ذلك بين محال أهل بغداد فتن من أجل المذهب فكفهم الديوان ومنعهم»[1].

وفي سنة ٦٥٤ هـ قام شذاذ الآفاق من العوام بحملة مسعورة أُخرى ضد الشيعة وذلك في «ذي الحجة، قتل أهل الكرخ رجلاً من أهل قطفتا فحمله أهله إلى باب النوبي، فدخل جماعة من الخدام إلى الخليفة، وعرفوه وعظموا ذلك ونسبوا إلى أهل الكرخ كل فساد، فأمر بردعهم فركب الجند إليهم، وتبعهم العوام ونهبوا محلّة الكرخ، وأحرقوا عدة مواضع، وسبوا كثيراً من النساء والعلويات والخفرات، وسفكوا الدماء، وعملوا كل منكر، وكان الجند والعوام يتغلّبون على من قد نهب شيئاً فيأخذونه منه، وعظمت الحال في ذلك فخوطب الخليفة في أمرهم بالكف عنهم ونودي بالأمان، فدخل جماعة من الكرخ إلى منازلهم وقد تخلّف بها قوم من العوام وغيرهم فقتلوهم ثم تقدم الخليفة إلى الجند وغيرهم باحضار ما نهبوه إلى باب النوبي فأحضروا شيئاً كثيراً، فرد على من عرف ماله ما وجده وكان شيئاً لا يحصى كثرة، ونودي بحمل النساء والأسرى إلى دار الرقيق فحملوا وأعيدوا إلى أربابهم ثم حصل الذي كانت الفتنة بسببه، وقتل وصلب

---

(١) المصدر نفسه: ص١٣٥.

قاتل القطفتي بباب الكرخ»[١].

إن قاتل القطفتي قتل وصلب، أما قتلة الناس فاعفوا من ذلك. إن هذه الاجراءات وغيرها تشير إلى أن الشيعة هم عبارة عن مواطنين من الدرجة الرابعة أو الخامسة، فقاتلوهم لا يقاصّون، وبائعوهم في أسواق الرقيق لا يحاسَبون!!

وفي سنة ٦٥٥ هـ «ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنّة والرافضة[٢] أدت إلى نهب عظيم وخراب وقتل عدّة من الرافضة»[٣]. وقريب من هذه القصة يوردها الذهبي في تأريخه[٤].

ومما هو جدير بالذكر أن كلمة (الفتنة) التي اتفقت عليها كلمة المؤرخين السنة ما هي إلا لتضليل القارئ في أن الشيعة والسنة كانوا على حد سواء في إذكائها وإدامة نيرانها، في حين أن الواقع التأريخي يثبت أن الشيعة كانوا ضحية لاولئك العوام، ويقومون برد فعل ليس إلاّ، كما أن هذه الهجمات المحمومة كانت متزامنة مع المناسبات الدينية الشيعية في شهر محرم، صفر، ذي القعدة، ذي الحجة، الأمر الذي يدفع العوام إلى الانجرار وراء غليان مرجل الطائفية الذي لا يتحمّله الآخرون.

---

(١) الحوادث الجامعة: ص١٥٢.

(٢) من المحتمل أن تكون هذه الحادثة هي نفسها حصلت سنة ٦٥٤ هـ واختصرها صاحب تاريخ الخميس، وذكرها في حوادث سنة ٦٥٥ هـ.

(٣) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: الشيخ حسن الديار بكري، ج٢ ص٢٧٦، دار صادر، بيروت.

(٤) تاريخ الاسلام: شمس الدين الذهبي، ج٤٨ ص٢٩.

ملامح ابن العلقمي الاجتماعية والعلمية والسياسية

قبل بيان مواقف ابن العلقمي نتوقف قليلاً عند بعض المحطات لنتعرف على شخصيته وملامحها الاجتماعية والعلمية والسياسية وهي:

١ـ ابن العلقمي ٥٩٣ ـ ٦٥٦ هـ

هو محمد بن أحمد بن علي، أبو طالب، مؤيد الدين الأسدي البغدادي المعروف بابن العلقمي، وزير المستعصم العباسي[١].

ومن حيث النسب واللقب «هو أسدي أصلهم من النّيل، وقيل لجدّه العلقميّ لانه حفر النّهر المسمّى بالعلقمي»[٢].

وهو من أهالي الحلّة السيفية، وقضى فجر حياته الأولى فيها[٣].

وله من الأبناء ولدان أحدهما: شرف الدين أبو القاسم علي بن محمد بن العلقمي والذي تولى منصب الوزارة بعد وفاة أبيه[٤] والآخر أبو الفضل محمد بن محمد بن العلقمي وقد كان عالماً وشاعراً وقد ترك أشعاراً منسوبة له[٥]. وتوفي ابن العلقمي في جمادى الأولى سنة (٦٥٦ هـ)، ودفن في مشهد موسى بن جعفر الكاظم ببغداد[٦].

---

(١) الأعلام: ج٥ ص٣٢١.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية: ابن الطقطقي، ج١ ص٢٤١.

(٣) انظر فوات الوفيات، ج١ ص١٨٦.

(٤) جامع التواريخ: رشيد الدين فضل الله الهمداني، ج٣ ص٦٢.

(٥) انظر العسجد المسبوك: ص٥٧٤ و٥٨٢ و٥٩٤، ونحوه في أنوار المشعشعين: الشيخ محمد علي بن الحسين النائيني ج٣ ص٣٩٧.

(٦) الأعلام: ج٥، ص٣٢١.

٢ـ نشأته العلمية:

بدأ ابن العلقمي رحلته العلمية في الحلّة، فقد ذكر الصفدي أن ابن العلقمي في أثناء صباه «اشتغل بالحلّة على عميد الرؤساء أيوب»[١]، وكان قد فاق أقرانه في الأدب فقد أورد ابن الطقطقي ذلك قائلاً «اشتغل في صباه بالأدب ففاق فيه، وكتب خطاً مليحاً، وترسّل ترسّلاً فصيحاً، وضبط ضبطاً صحيحاً»[٢] وبعد ذلك ذهب الى بغداد ليدرس علم الحديث عند أبي البقاء عبد الله بن حسين العكبري والذي يعد أحد كبار المشايخ آنذاك فسمع الحديث عنده[٣].

لقد كان ابن العلقمي فرداً في إنشاء الرسائل، وذلك ما يستشف من عبارة الزركلي حيث قال إنه كان «كاتباً فصيح الإنشاء»[٤]. وفي أثناء ذهابه إلى بغداد وطلبه العلم كان مقيماً عند خاله عضد الدين ابي نصر المبارك بن الضحاك والذي كان يشغل منصب استاذ الدار[٥].

ونظراً لسابقته العلمية وفضله في علم الأدب والنحو والحديث فقد «اشتهر ابن العلقمي بعلمه واستقامته وجودة خطة، وكان من هواة

(١) الوافي بالوفيات: ج١ ص١٨٦.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية: ص٣٣٧.

(٣) الوافي بالوفيات: ج١ ص١٨٦.

(٤) الأعلام: ج٥ ص٣٢١.

(٥) صاحب الديوان عند الخليفة الناصر لدين الله.

جمع الكتب، كما كان نصيراً للعلم»[١].

وذكر ابن الطقطقي ان ابن العلقمي «كان يحبّ أهل الأدب ويقرّب أهل العلم، اقتنى كتباً كثيرة نفيسة.

حدَّثني ولده شرف الدين أبو القاسم عليّ، رحمه الله، قال: اشتملتْ خزانةُ والدي على عشرة آلاف مجلّد من نفائس الكتب. وصنف له الكتب، فممن صنّف له الصاغاني اللغوي، صنّف له العُباب وهو كتاب عظيم كبير في لغة العرب؛ وصنّف له عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد كتاب شرح نهج البلاغة، يشتمل على عشرين مجلداً، فأثابهما وأحسن جائزتهما. وكان ممدّحاً، مدحه الشعراء، وانتجعه الفضلاء»[٢].

ومن هنا نلاحظ أن ابن العلقمي كان رجلاً عالماً فاضلاً له صلات بأهل العلم كما هو في علاقته بالسيد رضي الدين بن طاوس حيث كان عشيراً ورفيقاً له، وقد أشار إلى ذلك العزاوي[٣].

تجدر الإشارة إلى أن ابن العلقمي كان يعتنق المذهب الشيعي الاثنى عشري ولهذا وسَمَه كثير من المؤرخين بالتعصب والغلو بغضاً لمذهبه.

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية: مجموعة من المستشرقين، ج١ ص٢٤١.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية: ص٣٣٧.

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين: المحامي عباس العزاوي، ج١ ص٢٦٢.

ابن العلقمي والانتقال إلى الحياة السياسية:

دخل ابن العلقمي ميدان السياسة عن طريق خاله عضد الدين ابن الضحاك، حيث كلّفه بكتابة الرسائل في الديوان ثم تدرج في سلم المسؤولية الإدارية وقد ذكر ذلك الأشرف الغساني بقوله «ثم انظمّ إلى خاله استاذ دار الخلافة عضد الدين أبي نصير المبارك ابن الضحاك، وكان شيخ الدولة فضلاً وعلماً ورئاسة وتجربة، فتخلق بأخلاقه وتأدَّب بآدابه، واستنابه في ديوان الأبنية، وشغله بعلم الإنشاء إلى أن توفي خاله، فانقطع ولزم داره، فاستدعى مؤيد الدين إلى دار التشريفات وأمره بالتردد إليها في كل يوم، ومشاركة النواب بها، فلما نقل استاذ الدار أحمد بن الناقد[1] إلى الوزارة نقل مؤيد الدين إلى استاذية الدار»[2]. وبعد أن توفي ابن الناقد نصّب ابن العلقمي وزيراً مكانه «وارتقى إلى رتبة الوزارة (سنة ٦٤٢) فوليها أربعة عشر عاماً. ووثق به «المستعصم» فألقى إليه زمام أموره، وكان حازماً خبيراً بسياسة الملك»[3].

وقد وصف ابن طباطبا كفاءته السياسية وسلوكه الاداري بقوله كان: «وقوراً محبّاً للرياسة كثير التجمّل، رئيساً متمسكاً بقوانين

---

(١) كان ابتداء أمره وكيل للخليفة المستنصر، فمكث مدة في الخلافة، ثم انتقل منها إلى استاذية الدار، ثم منها إلى الوزارة. انظر: الفخري في الآداب السلطانية: ص٣٣١.

(٢) العسجد المسبوك: ص٦٤٠.

(٣) الأعلام: ج٥ ص٣٢١.

الرياسة خبيراً بأدوات السياسة لبيق الأعطاف بآلات الوزارة»[١]. كما أن الغساني هو الآخر وصف أهلية ابن العلقمي السياسية قائلاً عنه «كريم الطباع، خير النفس كارهاً للظلم خبيراً بتدبير الملك، لم يباشر قلع بيت ولا استيصال مال»[٢].

ومما سبق يتضح ان ابن العلقمي تسنّم مناصب إدارية مختلفة في مدة تزيد على ثلاثة عقود زمانية.

الوزير ابن العلقمي رجل الاعتدال في زمن التعصب

كتب صاحب الفخري: أن ابن العلقمي كان رجلاً فاضلاً كاملاً لبيباً كريماً وقوراً[٣]. فهو يؤدي وظائفه الإدارية والدينية بشكل جيد، وبعيد عن التعصب لمذهبه، ويحضر في محافل أهل السنّة ومساجدهم ويستمع إلى خطبهم في جامع القصر[٤].

وكان يدعو الأساتذة من المذاهب الإسلامية إلى إلتزام الاعتدال والابتعاد عن الأساليب التي تثير حساسية الناس، وتهدد وحدتهم ففي سنة ٦٤٥ هـ «أحضر مدرسي المستنصرية إلى دار الوزير وتقدّم إليهم أن لا يذكر شيئاً من تصانيفهم، ولا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها،

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية: ص٣٣٧.

(٢) العسجد المسبوك: ص٦٤٠.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، ص٣٣٧، منشورات الشريف الرضي.

(٤) العسجد المسبوك: ج٢، ص٥٦٣.

بل يذكروا كلام المشايخ تأدباً معهم وتبركاً بهم، وأجاب جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي مدرس الحنابلة بالسمع والطاعة، ثم مدرس المالكية سراج الدين عبد الله الشرمساحي، وقال «ليس لأصحابنا تعليقة، فأما النقط من مسائل الخلاف فمما أرتبه» فبان بذلك عذره، وأما شهاب الدين الزنجاني مدرس الشافعية وأقضى القضاة عبد الرحمن بن اللمغاني مدرس الحنفية، فأنهما قالا ما معناه «أن المشايخ كانوا رجالاً ونحن رجال» ونحو ذلك من إيهام المساواة فأنهيت صورة الحال، فتقدم الخليفة أن يلزموا بذكر كلام المشايخ واحترامهم، فأجابوه بالسمع والطاعة»[(١)] إن الوزير يمارس دور التهدئة، انطلاقاً من موقعه في الدولة، ويحاول أن يجعل الخطاب الديني أكثر قبولاً.

وكان ابن العلقمي يتعامل حتى مع غير المذاهب الإسلامية بروح العدالة والإنصاف، كما هو في شكوى اليهودي ضد نسيبه وقريبه[(٢)].

الجيش في العصر العباسي الأخير:

كان المستنصر العباسي قد استكثر من الجند حتى بلغ مائة ألف، ولم يستفد هذا الخليفة من هذه القدرة العسكرية في الدفاع عن حياض الوطن الإسلامي الكبير، كما أن الخليفة المستعصم العباسي

---

(١) الحوادث الجامعة: ص١٠٨.

(٢) المصدر نفسه: ص١٢٢.

هو الآخر لم يستفد من الجيش، بل إنه قام بتسريح الجيش وتفكيك قواه العسكرية.

فقد ذكر الذهبي في تأريخه أن «الخليفة أهمل حال الجند وتعثّروا، وافتقروا، وقُطعت أخبارهم، ونُظِم الشّعر في ذلك»(١).

وذكر ابن شاكر الكتبي «أن الخليفة قد أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم، فآلت أحوالهم إلى سؤال الناس، وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع»(٢).

فالخليفة هو المسؤول الأول والأخير عن اضعاف قدرة الجيش ولا حاجة إلى إلقاء تبعة سوء التدبير في عهدة الوزير.

وكان الجيش يعاني من المشكلة المالية قبل أن يأتي الوزير ابن العلقمي للوزارة، أي في زمن الوزير ابن الناقد، ففي شعبان من سنة ٦٤٠ هـ حصلت وقعة الأتراك حيث حضر جماعة من المماليك الظاهرية والمستنصرية عند شرف الدين اقبال الشرابي وطلبوا الزيادة في معايشهم وبالغوا في القول، والجد في الطلب فرد عليهم، وقال: ما نزيدكم بمجرد قولكم، بل نزيد منكم من نزيد إذا أظهر خدمة يستحق بها، فنفروا من فورهم إلى ظاهر السور وتحالفوا وتعاضدوا، وطالت المسألة إلى أن حسمت وحلت برجوعهم واعتذارهم(٣).

---

(١) تاريخ الاسلام: شمس الدين الذهبي، ج٤٨ ص٤٢.

(٢) عيون التواريخ: ابن شاكر الكتبي، ج٢٠ ص١٢٩.

(٣) الحوادث الجامعة: ص٨٦

وكانت المشكلة الاقتصادية التي تعاني منها الخلافة، مضافاً إلى حالة البخل التي يتصف بها الخليفة وعدم خبرته في ادارة الاموال هي السبب في انحلال الجيش، ولو كان الوزير ابن العلقمي هو السبب لثاروا عليه، وقد ذكر الذهبي أن الجند ثاروا، ولم ينحوا باللائمة على الوزير. ففي سنة ٦٤٨ هـ «ثارت طائفة من الجُند ببغداد ومنعوا يوم الجمعة الخطيب من الخطبة، واستغاثوا لأجل قطع أرزاقهم»[١].

وفي سنة ٦٥١ هـ «نزح خلْقٌ من الجند من بغداد إلى الشام لقطع أرزاقهم»[٢].

الوزير ابن العلقمي لا صلة له بالمغول وما إن تحرك هولاكو باتجاه الغرب حتى قدّم له أُمراء تركستان وما وراء النهر فروض الطاعة[٣]، وتوجه الملك الكامل محمد بن شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين إلى خدمة هولاكو فأكرمه وأمّنه[٤]، وآخرون قدّموا طاعتهم لهولاكو وزادوا بأن طلبوا نجدة من هولاكو للتخلص من المماليك، كما فعل ذلك الملك الناصر صاحب دمشق.

وقد أمر هولاكو بإرسال عشرين ألف فارس معه ضد المماليك[٥].

---

(١) تاريخ الاسلام: ج٤٧ ص٦٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٤٨ ص٨

(٣) تاريخ الاسلام: الدكتور حسن ابراهيم حسن، ج٤ ص١٥٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٤) تاريخ الاسلام: شمس الدين الذهبي، ج٤٨ ص٢٥.

(٥) السلوك لمعرفة دول الملوك: ج١ ص٥٠٠.

وغيرهم أيضاً تعاونوا مع المغول.

وقد أصاب الدكتور القزاز بقوله عند تحميله جزءاً من المسؤولية على الأمراء بسبب انقساماتهم وصراعاتهم من دون أن يقدّروا المرحلة الخطيرة التي يعيشها العالم الإسلامي[١].

أما بشأن المراسلات والكتب التي نسبها البعض فيما بين ابن العلقمي والمغول، فذلك جهل بالأحداث التأريخية، وحذف لنصوصها.

فقد كان من الأعراف السائدة في ذلك الزمان عندما يأتي رسول من أحد الأمصار أو من بلد معين أن يكون هناك استقبال رسمي في سور البلد خارج بغداد ويقوم باستقباله أستاذ الدار ومعه جماعة من الجند، وبعد ذلك يأتي إلى الوزير ليعرض ما عنده وكمثال على ذلك في سنة ٦٤٣ هـ وصل إلى بغداد رسول من المغول وتم استقباله من قبل رجال الدولة، وتم استقباله من قبل الوزير[٢]. إلا أن هناك بعض الأخبار تحاول التشكيك في نزاهة الوزير ابن العلقمي ففي سنة ٦٤٤ هـ قدم رسولان من التتر واجتمعا بالوزير وتعمّت[٣] على الناس بواطن الأمور[٤]. ويصور لنا الذهبي الحادثة وكأن الوزير يجري مفاوضات سرية مع المغول، والناس خفي عليهم ما يدور خلف الكواليس. في

---

(١) الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير: ص٣٢٣.

(٢) الحوادث الجامعة: ص١٤١.

(٣) خفيت.

(٤) تاريخ الاسلام: شمس الدين الذهبي، ج٤٧ ص٢٩.

حين أن الخليفة وأركان دولته بما فيهم الوزير كانوا لا يذيعون ما دار بينهم وبين المغول إلى الناس، فضلاً عن أنهم لا يشركون أحداً في أمورهم.

وكيف للخليفة أن يبقي الوزير في منصبه إلى سنة ٦٥٦ هـ ويعلم أنه يجتمع بالمغول ويتآمر عليه؟. وقد كان الوزير ابن العلقمي في سنة ٦٤٤ هـ تربطه بأكثر أرباب الدولة علاقات وثيقة فكيف يتآمر عليهم.

كما أن المقريزي هو الآخر لمز ابن العلقمي في قضية تردّد الرسل إليه فقال: في سنة (٦٥٤هـ) جاءت رسل المغول وقد اجتمعوا وتحدّثوا مع الوزير ابن العلقمي[(١)].

وهناك مؤرخون قالوا وبشكل واضح حقيقة ما بعث به هولاكو إلى ابن العلقمي، ولم يحاولوا أن يعرضوا الخبر على أنه خيانة قام بها ابن العلقمي في مجيء الرسل إليه فقد ذكر ابن العبري: أن هولاكو أثناء حصاره لقلاع الملاحدة بعث إلى الخليفة يطلب نجدة فأراد أن يسيّر جيشاً إليه، فلم يقدر، ولم يمكنه الوزراء والامراء[(٢)].

كان ذلك في ٦٥٤ هـ. فإذن هولاكو بعث بالرسل إلى الخليفة لأجل هذا الغرض وهو تزويده بجيش أو نجدة يساعدونه في حصاره لقلاع الاسماعيلية في منطقة الألموت.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك: ج١ ص٤٩١.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ص٢٦٩.

كما أن هولاكو عندما أراد التوجه إلى بغداد في سنة ٦٥٥ هـ أرسل رسولاً آخر إلى الخليفة وعاتبه على إهماله تسيير هؤلاء إليه. وكان الرسل عندما يأتون يستقبلهم الديوان، ويبعث بهم إلى الوزير، ومن ثم يأتون إلى الخليفة.

ومن هنا ترفع التهمة في تردد الرسل على الوزير.

أما صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ورسائله التي بعث بها إلى الخليفة وحجبها ابن العلقمي لئلا يعرف الخليفة عن المغول شيء، فإن صاحب الموصل كان قد تعاون مع هولاكو، وأرسل مدداً من الموصل برفقة ولده الملك الصالح ركن الدين، وكان لؤلؤ قد هيأ لهم الإقامات والسلاح[1].

فأي رسائل لصاحب الموصل كان الوزير يخفيها عن الخليفة؟ وما مدى أهمية تلك المعلومات التي يقدّمها والمغول منذ أربعة عقود يتحركون ويقتلون في بلاد المسلمين؟! وهل تستحق أن يأخذ بها الوزير؟!.

الوزير ابن العلقمي أبدى النصح للخليفة

المعلومات عن احتلال بغداد كانت بيّنة، وقد أوضحتها المصادر التأريخية بوضوح، إلا أن بعض الاقلام عرضتها وكأنها جميعاً

(١) تاريخ الاسلام: شمس الدين الذهبي: ج٤٨ ص٣٥.

حصلت في ساعة واحدة، أو كأنّها كلّها حدثت في أثناء حصار بغداد.

إن الوزير ابن العلقمي عرف أن هولاكو رجل يستطيع الخليفة أن يمدّه بهدية ومال ويثنيه عن القدوم الى بغداد، لذلك عرض هذه القضية كنصيحة علناً أمام الملأ، إلا أن أعداءه حتى في تلك اللحظات كانوا حانقين عليه فاتهموه بأنه يدبر أمر نفسه، وقالوا ان لدينا القدرة على مواجهة المغول!!

ولكننا نتساءل ونقول: أيهما أحق أن يتبع دفع المال إلى هولاكو وإقناعه بذلك أم مواجهته بجيش ضعيف واختار الخليفة رأي الوزير، إلا أن الدويدار[1] وجنده آثروا مخالفة الوزير واتهامه مهما كانت النتائج وجرّبوا خيار الدويدار فسقطت بغداد وقتل أهلها.

وقد قالوا إن ابن العلقمي خرج إلى هولاكو فتوثق منه لنفسه وأجرى مع هولاكو اتصالاً[2].

وهذه الحقيقة بعكس ما ورد في النصوص الصريحة وغير القابلة للتأويل فقد كان خروج الوزير بطلب من الخليفة وقدّر الوزير أن ذهابه إلى هولاكو فيه مخاطر، والبلد يحتاج إلى تدبير، فخرج الوزير إلى الخليفة «وقال: يا مولانا إذا خرجتُ فمن يُدبّر البلد ومن يتولّى

(١) قائد الجند.

(٢) تاريخ ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، ج٢ ص٢٨١، المطبعة الحيدرية في النجف.

المهامّ؟ فقال له الخليفة: لا بدّ أن تخرج. فقال: السمع والطاعة»[1]. إن خروج الأفراد كابن الجوزي وسليمان شاه وغيرهم لا يثير ريبة[2] في حين خروج الوزير وبطلب من الخليفة يثير الشكوك!! ما لكم كيف تحكمون؟، أم لكم كتاب فيه تدرسون؟

وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي: إن الوزير كان على طاعة الخليفة إلى اللحظات الأخيرة، وهو ما ذكر في النص، ولو كان خامر المغول أو تعاون معهم، فإنه سيتنمّر على الخليفة والدويدار وأركان الدولة عندما وصلت جيوش المغول بغداد، غير أن أياً من ذلك لم يحصل.

أما القصة المفتعلة في العرض الذي قدّمه الوزير للايقاع بالخليفة في زواج ابنه من ابنة هولاكو، فهي قصة عجيبة، ولا ندري كيف استساغ بعض المؤرخين مثل هذه القصة التي لا يرتضيها من له بقية من عقل، وقد قبلها بعض المؤرخين تحت سطوة التعصب المقيت!!

إذ كيف يعقل ان هولاكو يريد تزويج ابنته من ابن الخليفة وهو على أبواب بغداد، وفي قبضته وقد قطع طريقاً طويلاً مع جيشه الذي يأتي القرى فيهلك أهلها، ويستبيح حرماتها؟! وإليك ما أورده ابن العبري حيث ذكر انه بعد الاستيلاء على أسوار بغداد وتسللهم من برج العجمي «أمر هولاكو أن يخرج إليه الدويدار وسليمانشاه، وأما

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية: ص٣٣٨.

(٢) انظر تاريخ مختصر الدول: ص٢٧٠ - ٢٧١.

الخليفة إن اختار الخروج فليخرج وإلا فليلزم مكانه. فخرج الدويدار وسليمان شاه ومعهما جماعة من الأكابر، ثم عاد الدويدار من الطريق بحجة أنه يرجع ويمنع المقاتلين الكامنين بالدروب والأزقَّة لئلا يقتلوا أحداً من المغول، فرجع وخرج من الغد وقُتل. وعامة أهل بغداد أرسلوا شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنكاني ليأخذ لهم الأمان. ولما رأى الخليفة أن لا بد من الخروج أراد أو لم يرد استأذن هولاكو أن ينزلوه بباب كلواذي وشرع العساكر في نهب بغداد، ودخل بنفسه إلى بغداد ليشاهد دار الخليفة وتقدّم باحضار الخليفة فأحضروه، ومثل بين يديه وقدّم جواهر نفيسة ولآلئ ودرراً معبَّاة في أطباق ففرَّق هولاكو جميعها على الأُمراء...»[1].

ولو كان الشيعة متواطئين مع المغول لما ركبهم السيف، ثم ان الوزير له تاريخ حسن ضد المغول، فهو الذي كان يدير العمليات العسكرية ضد المغول في سنة ٦٤٣ هـ وألحقوا بالمغول الهزيمة، وكان قائدهم بجكتاي في ذلك الوقت[2] ولو كان ابن العلقمي قد تعاون مع المغول لما وبخه هولاكو، ولما قتله شر قتلة في أول سنة سبع وخمسين وستمائة، وذلك ما ذكره صاحب تاريخ الخميس[3]، أو على الأقل أنه توفي بعد الغزو المغولي بثلاثة أشهر وفي ظروف

---

(١) تاريخ مختصر الدول: ابن العبري، ص٢٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج٨ ص٢٣٩، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) تاريخ الخميس: ج٢ ص٣٧٧.

غامضة، ولو كان المغول أكرموه لكان بعض المؤرخين قد أثبت التهمة الموجهة إليه بأنه ساعدهم وأكرموه إلاّ أنّ المغول كانوا يرون فيه عدواً لهم، ولذا «ذاق من التتار الذّل والهوان، ولم تطل أيامه»[1].

وقد كتب المؤرخون عن بعض أولئك الأمراء الذين خدموا المغول، فلم يكتبوا لنا أنهم قد أذاقوهم الهوان، إلا أن البعض من المؤرخين جرى وراء تعصبه في اصدار الأحكام.

تجدر الإشارة إلى أن الوزير ابن العلقمي هو أسدي ولد في الحلة وليس هو فارسي النسب، ولا عيب في أن ينحدر الإنسان من قومية معينة إنما العيب أن يسخر مسلم من قومية معينة[2].

* * *

---

(١) تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ص٥٥٦، تحقيق ابراهيم صالح، دار صادر.
(٢) الأعلام: خير الدين الزركلي، ج٥ ص٣٢١ دار العلم للملايين، بيروت.

الشبهة الخامسة عشر: خيانة الخواجة نصير الدين الطوسي وقضاءه على التراث الفكري للمسلمين

كتب الدكتور عماد في ص٩٧: «نصير الدين كان شيعياً رافضياً خبيثاً، تعددت خياناته؛ فكانت ما بين إعانة على قتل أهل السنة وأخذ اموالهم والقضاء على تراثهم الفكري، وكان مع هولاكو في واقعة بغداد، ولما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هوّن عليه الطوسي ذلك فقتله».

الجواب: دور الخواجة نصير الدين الطوسي أثناء سقوط بغداد

المغول كانت تدفعهم أطماعهم لاحتلال البلاد الاسلامية، ولا يحتاجون إلى أحد من المسلمين للتدخل في قراراتهم العسكرية باحتلال أي بلد، وجرت حادثة سقوط بغداد، وقد ذكر المؤرخون الكبار تفصيلات الحادثة دون أن يشيروا إلى أي دور للخواجه نصير الدين الطوسي، ومن هؤلاء المؤرخين: ابن العبري، ابن الفوطي، الجويني، ابن طباطبا، ابن شاكر، ابن الوردي، الصفدي، الذهبي وغيرهم.

وكان ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ هو الذي أثار هذه التهمة[١] وتبعه تلميذه ابن الجوزي فقد اتهم ابن تيمية الخواجه بشتى الاتهامات حتى وصل الأمر إلى أن اتهمه بشرب الخمر والزنا الخ.

---

(١) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحنبلي ولد سنة ٦٦١ هـ فرّ مع والده وأهله إلى دمشق من سطوة المغول، وكان الأولى به أن يثير حماس الناس إلى الجهاد ضد المغول، إلا أنه وبدل عن ذلك كان قد أثار غبار الخلافات الطائفية وكتبه تشهد بعدائه السافر وخصوصاً ضد الشيعة فكان نعم الخلف لأسلافه الذين قادوا الفتن الطائفية ببغداد قبل الغزو المغولي.

وفيما يلي نشير إلى ما ذكره المؤرخون الكبار حول حادثة بغداد ودور الطوسي فيها ليتبين الرشد من الغي:

١ ـ ابن العبري الملطي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ: ذكر كيفية سقوط بغداد بتفصيلات كثيرة وتعرّض لمقتل الخليفة المستعصم ومن معه، ووقت قتله، ولم يورد أي ذكر للخواجه نصير الدين الطوسي في حادثة سقوط بغداد، أو قتل الخليفة[١].

٢ ـ الأشرف الغساني المتوفى سنة ٧٦١ هـ: تعرض لأحداث سقوط بغداد، وأدرج حتى الأحداث السابقة لسقوط بغداد فلم يذكر أي دور لا قبل ولا أثناء إنهيار بغداد، كما أنه نقل كيفية قتل الخليفة، ولم يشر إلى أي تدخل للخواجه نصير الدين في قضية قتل الخليفة[٢].

٣ ـ علاء الدين الجويني المتوفى في سنة ٦٨٠: وردت النسخة الخطية للخواجه نصير الدين الطوسي حول سقوط بغداد وجزئياتها في كتابه، ولم يذكر الخواجه أي شيء عن نفسه أو دوره فيها[٣].

٤ ـ ابن الطقطقي المتوفى سنة ٧١٠ هـ والذي ألّف كتابه الفخري سنة ٧٠١ هـ: ذكر حادثة سقوط بغداد، وأتى على مجريات أحداثها فلم يذكر أي شيء عن الخواجه نصير الدين الطوسي[٤].

---

(١) تاريخ مختصر الدول: ص٢٦٩ - ٢٧٢.

(٢) العسجد المسبوك: ص٦٤٠ - ٦٤١.

(٣) تاريخ جهانگشاى: علاء الدين الجويني، ج٣، ص٢٧٨ - ٢٨٥.

(٤) الفخري في الآداب السلطانية: ص٣٣٨.

٥ ـ ابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ: نقل ابن الوردي في تاريخه (عين ألفاظ الأخبار) التي أوردها سابقوه، فلم يتطرّق لشيء من قريب أو بعيد عن الخواجه نصير الدين الطوسي[١].

كما أن مؤرخين آخرين ذكروا الحادثة، ولم يذكروا أي دور للخواجه نصير الدين ومن هؤلاء المؤرخين: المقريزي[٢]، وحسن الديار بكري[٣]، والذهبي في تأريخه[٤] والسيوطي في تأريخه[٥] وابن تغري بردي[٦]، وغيرها من المصادر التأريخية.

ان سكوت هذه المصادر عن دور الخواجه في سقوط بغداد يمكن أن يشكّل دليلاً على إنكار هذا الدور، ذلك أنّ القضية تتسم بحساسية خاصة. ولو كان هناك شيء في البين لأكّده هؤلاء الذين يسيئون الظنّ بالشيعة[٧].

على أن إدعاء أولئك ـ الذين ينسبون للخواجه أنه قد أفتى باهدار دم الخليفة ـ ينطوي على حسن ظن بهولاكو حيث يدل الخبر بالالتزام على أن هولاكو يتوقف ويتردد في قتل بعض الأشخاص، على أن هولاكو لم يؤمن بالإسلام ولا بعلمائهم حتى يحتاج إلى

(١) تاريخ ابن الوردي: ج٢، ص٢٨٠ - ٢٨١.
(٢) السلوك إلى معرفة دول الملوك: ج١، ص٥٠١.
(٣) تاريخ الخميس: ج٢، ص٢٧٦ - ٢٧٧.
(٤) تاريخ الإسلام: ج٤٨، ص٣٥.
(٥) تاريخ الخلفاء: ص٥٥٤ - ٥٥٧.
(٦) النجوم الزاهرة: ج٧، ص٤٩ - ٥١.
(٧) الشيعة في إيران: رسول جعفريان، ص٣٨١.

فتوى نصير الدين.

وعليه يتضح أن الخواجه نصير الدين الطوسي لم يكن له أي نفوذ على المغول؛ قبل وأثناء حادثة بغداد. أما المكانة التي حظي بها الخواجه عند هولاكو فقد تبلورت بعد غزو بغداد[1] وهي مكانة علمية لا شأن لها بالقرارات السياسية والعسكرية.

وندعوا الدكتور عماد أن يقرأ كتاب البداية والنهاية جيداً من دون تقطيع ليرى أن ابن كثير استبعد التهمة عن الخواجه نصير الدين بقوله: «كان الخواجه إلى جانبه في واقعة بغداد، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو بقتل الخليفة، وعندي أنّ هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل»[2].

الخواجه نصير الدين الطوسي يدافع عن العلماء ويحافظ على التراث الاسلامي

حافظ الخواجه على التراث الإسلامي من يد العبث والتخريب المغولية فأسس مكتبة ضخمة تضم آلاف الكتب، فذكر صاحب فوات الوفيات أن الخواجه: «ابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف

---

(١)الشيعة في إيران: رسول جعفريان: ص٣٨٣ - ٣٨٤.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير، ج١٣، ص٢٦٧.

مجلد. وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة، وجعل له الأوقاف»[١].

وكانت بيد الخواجه أوقاف البلاد بعد أن أصدر هولاكو أمراً بتسليم كل أوقاف الممالك له[٢] ويصرف عشرها على المرصد والعلماء المقيمين هناك «وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم، وكان يبرهم ويقضي أشغالهم، ويحمي أوقافهم، وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى»[٣].

وكان الخواجه يدافع عن العلماء ويحافظ على أرواحهم؛ يقول ابن شاكر الكتبي: «بلغ الخواجه أنّ هولاكو أمر بقتل علاء الدين الجويني[٤]. فقال الخواجه لأخيه: هذا القان إن أمر بأمر لا يمكن ردّه. فلا بدّ من الحيلة في ذلك. فتوجّه إلى هولاكو وبيده عكاز ومسبحة ثم اصطرلاب وخلفه من يحمل مبخرة وبخوراً وناراً. فرآه خاصّة هولاكو الّذين على باب المخيّم. فلما وصل، أخذ يزيد في البخور ويرفع الاصطرلاب ناظراً فيه. فلمّا رأوه يفعل ذلك، دخلوا على هولاكو وأعلموه. ثم خرجوا إليه، فقال لهم: القان طيب معافى

---

(١) فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي، ج٣، ص٢٤٧.

(٢) انظر فوات الوفيات: ج٣ ص٢٥٠.

(٣) خاتمة المستدرك: الميرزا النوري، ص٤٢٣، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

(٤) هو علاء الدين الجويني المتوفى سنة ٦٨٣ هـ صنّف كتاباً بعنوان (جهان كشا في التأريخ) ويعتبر أحد أعلام ذلك العصر، وقد أصبح وزيراً فيما بعد في بغداد في ضمن حكومة السلاطين المغول. انظر: كشف الظنون: حاجي خليفه، ج١ ص٦٢٢ وهدية العارفين: اسماعيل باشا البغدادي، ج١ ص٦٦٥.

موجود في صحّة؟ قالوا: نعم... فقال الخواجه: اقتضى الطالع في هذا الوقت أن يكون على القان أمر فظيع عظيم للغاية. فقمت وعملت هذا وبخّرت بهذا البخور... وينبغي الآن أن يكتب القان إلى سائر ممالكه بإطلاق من في الاعتقال، والعفو عمن له جناية. فأمر في تلك الساعة هولاكو بما قال، واطلق علاء الدين ولم يذكره الخواجه نصير الدّين»[1].

نصير الدين الطوسي على ألسنة بعض المفكرين

ذكر الأستاذ حسن الأمين في كتابه (الغزو المغولي) عدداً من الأقوال لبعض المفكرين، والتي تشيد بمكانة الخواجه نصير الدين الطوسي وهي كالتالي:

١ ـ الدكتور علي أكبر فياض يقول: «كان يعيش عند ذاك رجل يعد من أكبر المشتغلين بالعلوم العقلية بعد ابن سينا، ألا وهو نصير الدين الطوسي. قدر لهذا الرجل العظيم أن يقوم بإنقاذ التراث الإسلامي من أيدي المغول».

٢ ـ يقول الأستاذ مدرسي: «استطاع الطوسي بتأثيره على مزاج هولاكو أن يستحوذ تدريجياً على عقله وأن يروض شارب الدماء فيوجهه إلى إصلاح الأمور الاجتماعية والثقافية».

---

(١) فوات الوفيات: ج٣، ص٢٤٧.

٣ ـ يقول الدكتور مصطفى جواد: «التحق نصير الدين بهولاكو لينجي نفسه من الهلاك وليأتي بمعجزة القرن السابع، وهي نصر العلوم في الشرق وتأسيس أول أكاديمية علمية فيه بالمعنى العلمي الحديث»[١].



١) الغزو المغولي: حسن الأمين، ص١٥٧ - ١٥٨، دار التعارف، بيروت.

النتيجة

لم يرقب المؤلف في الشيعة إلاً ولا ذمّة وقد اعتمد في مباحثه على مبدأ «الاتهام أولاً» على عكس الشيعة الذين يحسنون الظن ويعتمدون مبدأ «سلامة وصحة أفعال المسلم».

إن مبلغ علم ـ الدكتور ـ تدثر بالهوى فبعثر الحقيقة وأكبّها على وجهها، فأخذ به العجز إلى التخليط فلم يميز بين الناصبي وبين السني، فاعتبر السني يساوي الناصبي وبناء على هذه المغالطة فقد فسر أحاديث أهل البيت في حق الناصبي ـ الذي يعلن العداء لهم ـ بأهل السنة وهذا ما لا تقول به الشيعة.

واتهم الشيعة بأنهم يقولون بحرمة الجهاد قبل ظهور المهدي ولم يسجل لهم التأريخ جهاداً ضد الكفار وهذه التهمة لا تنهض أمام ما سجّله تاريخ الشيعة البعيد والقريب، وحسبنا جهادهم في إيران والعراق ولبنان ضد الروس والانجليز والصهاينة وأمريكا ولقد تكلل جهادهم بالنجاح والظفر كما في إيران ولبنان وغيرها.

واتهم الشيعة بأنهم تنصّلوا وخذلوا الإمام علي والحسن والحسين وباقي الأئمة عليهم السلام، وهذا ما لا تقول به كتبهم وكان لأهل البيت عليهم السلام شيعة لكنهم قتلوا وصلبوا وشرّدوا من ديارهم بغير حق أما أولئك الذين تنصلوا ونكثوا عهودهم فهم شيعة لغيرهم كما ورد في المصادر التأريخية.

ورواية قتل السنة من قبل علي بن يقطين نحو من خمسمائة في

حبس هارون فهي رواية ضعيفة، ولقد كانت جواسيس هارون يراقبون ويرصدون ابن يقطين حتى في وضوئه فكيف تسنى له قتلهم بهدم سقف السجن عليهم، وأعدائه من حوله كالظل له، ثم لماذا لم يذكر المؤرخون هذه الحادثة؟ وأين هي نداءات واستغاثات أسر الضحايا؟ وللتذكير والتنبيه فإن سجون خلفاء بني أمية وبني العباس كانت مليئة بالشيعة أنفسهم واتهموهم بنفس اللهجة التي يتحدث بها المؤلف فقتلوهم على الهوية والظن والتهمة، أما أعداء أهل البيت عليهم السلام فكانوا ينعمون بالحرية تحت ظل السلطان والتاريخ يشهد بذلك.

وبالنسبة للخليفة الناصر لدين الله فلم يتشيع وكانت قراءة الدكتور المحترم غير دقيقة عند مطالعته للأخبار التأريخية، والخيانة كما أثبتها عليه في محلها لكنه ليس له علاقة بالشيعة كما هو ثابت من الأخبار ومن القرائن التي أوردناها في محله.

وما ذكره عن الدولة الفاطمية وخياناتها في محو السنّة إننا لا نؤيد تلك الدولة بكل تفصيلاتها، ولكن لابد من كلمة في حق تلك الدولة التي شيدت الأزهر فأصبح محلاً لنقل السنة وآثارها، كما أنها كانت تتعامل مع المذاهب الأخرى من غير تعصب وأوردنا الأمثلة على ذلك، وهي أفضل في تعاملها مع المذاهب الأخرى من بني العباس وغيرهم الذين جعلوا الدين وقفاً وحكراً على مذاهب معينة.

كما أنها لم تتعاون مع الصليبيين ضد المسلمين، بل استعانت تلك

الدولة بالمسلمين ضد الصليبيين وتناسوا الخلاف المذهبي فجاء لهذا الغرض صلاح الدين الأيوبي وقضى على الفاطميين وقتل شيعتهم فيما بعد.

أما خيانة الشيعة البويهيين فالمؤلف لمّا لم يجد ما ينال به منهم ذهب إلى شعائرهم في إحياء عاشوراء واعتبرها بدعة. والمصادر الحديثية عند الفريقين تقول وبروايات مسندة وصحيحة أن الرسولﷺ كان قد بكى لمقتل الحسين وأهل بيتهعليهم السلام، والشيعة يتأسون بالنبيﷺ في إظهار الحزن والتأثر على ذرية الرسول وما جرى عليهم ومآتم ومراسم العزاء ليست من مبتدعات البويهيين بل كان ذلك قد جرى بعد مقتل الحسينعليه السلام وأيضاً عمل أئمة أهل البيتعليهم السلام وأتباعهم على إحياء تلك المراسم.

وبخصوص عيد الغدير وابتداع تسميته «عيداً» فهو ليس مبتدعاً، بل إن المصادر الكثيرة نقلت الأخبار المتواترة في حادثة الغدير، وهنأ المسلمون الإمام علياًعليه السلام وصافحوه وباركوا له أنه أصبح مولى كل مؤمن ومؤمنة حتى أن كلمة «عيد الغدير» كانت متعارفة عند المؤرخين ويذكرونها في مصنفاتهم.

وما ذكره المصنف بأن الشيعة يلهون ويلعبون في يوم الغدير وجيوش الروم ينتهكون حرم الديار الإسلامية!! فهذا خلاف الواقع فلقد كان الشيعة في صمود مستمر أمام حملات الروم فقد كان سيف الدولة بن حمدان الشيعي قد غزاهم أكثر من أربعين مرة حسب ما

نقله المؤرخون وكانت الحرب سجالاً بين الشيعة والروم آنذاك يدال لهم عليه، ويدال له عليهم.

أما خيانة الوزير أبو علي محمد بن مقلة للخليفة الراضي العباسي فهي لا تصمد أمام الأدلة التاريخية فالوزير المذكور تولى الوزارة لمدة سنة أو ما يقرب من ذلك وكان قد توفي قبل الوقت الذي جاء به بنو بويه إلى بغداد سنة (٣٣٤هـ) فلا علاقة له بتلك الأحداث، لاسيما وأن مصادر كثيرة من أهل السنة تمجد الوزير بن مقلة، وبعضها لم يتطرق إلى أي شيء من الخيانة التي نسبها له استناداً إلى مصدر واحد.

وذكره خيانات الوزير ابن العلقمي للخليفة المستعصم، ومغامرته للمغول فهي تهمة لم تؤيدها المصادر المعاصرة للحادثة من قبيل تاريخ مختصر الدول لابن العبري، والفخري لابن الطقطقي، والحوادث الجامعة لابن الفوطي وغيرهم كما أن دخول رسل المغول إلى الوزير ابن العلقمي كان بحضور الأمراء وأعيان الدولة وكان من الأعراف آنذاك عندما يأتي الرسل من أي دولة يأتون إلى الوزير ثم يقدّمهم الوزير إلى الخليفة. أما اتهامه بأنه لا يوصل رسائل ابن السرايا فقد كان ابن السرايا قد تعاون مع المغول وأمدّهم بالسلاح وأرسل معهم ابنه في أثناء حصارهم بغداد ثم لماذا يبقيه الخليفة في منصبه ويثق به إلى اللحظات الأخيرة من عمره؟!. باعتقادنا أنها تهمة أطلقها المتعصبون ضد ابن العلقمي والمغول لهم أطماعهم وأهدافهم وهم

يتقدمون بقضم الأراضي الإسلامية منذ أربعة عقود فلم يقم الخلفاء وأعوانهم بأي عمل ضدهم.

وأخيراً خيانة الخواجة نصير الدين الطوسي فلم تذكرها المصادر المعاصرة للحادثة والذي أثارها أول مره هو ابن تيمية الحرّاني، وقضية فتوى الخواجة الطوسي في قتل الخليفة هي قضية ليس لها صحة فلا يحتاج هولاكو الذي لا يؤمن بالإسلام إلى فتوى من مسلم، وقد شهد للخواجة الطوسي المفكرون في حفظه للتراث الإسلامي.

والحمد لله رب العالمين

* * *

فهرست المصادر

القرآن الكريم

١ ـ أنساب الأشراف: البلاذري، تحقيق الدكتور سهيل زكّار، والدكتور رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، سنة الطبع ١٩٩٦م.

٢ ـ الأزهر في ألف عام: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، عالم الكتب، بيروت، ط٢ ـ ١٤٠٨ هـ

٣ ـ الإمام جعفر الصادق عليه السلام: عبد الحليم الجندي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، سنة الطبع ١٣٩٧ ق.

٤ ـ الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي: السيد حسن الأمين، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٢ ـ ١٤١٧ هـ

٥ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي ت١٣٩٦ هـ دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٤ ـ ١٩٩٩م.

٦ ـ أنوار المشعشعين في ذكر ورود الطالبيين إلى القميين: الشيخ محمد علي بن حسين النائيني ت١٣٥٥ هـ تحقيق محمد رضا أنصاري، مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

٧ ـ الآثار الباقية: أبو ريحان البيروني.

٨ ـ إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا: أحمد المقريزي ت ٨٤٥ هـ طبع في القاهرة سنة ١٩٩٠م.

٩ ـ الإنتصار: العاملي، دار السيرة، بيروت، ط ١ ـ ١٤٢٢ هـ

١٠ ـ البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤ هـ تحقيق علي

شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ـ ١٤٨٠ هـ.

١١ ـ تاريخ ابن الوردي: عمر بن المظفر الشهير بابن الرودي ت٧٤٩هـ المطبعة الحيدرية النجف الأشرف، سنة الطبع ١٣٨٩هـ ق.

١٢ ـ تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ دار الشؤون الثقافية العامة.

١٣ ـ تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام: شمس الدين الذهبي ت٧٤٦ هـ تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ط٢ ١٤٢٣هـ.

١٤ ـ تاريخ الإسلام: الدكتور حسن إبراهيم حسن ت١٣٨٨هـ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة الطبع ١٩٦٧م.

١٥ ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي ت٩١١ هـ تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط ١ ـ ١٤١٧هـ

١٦ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: الديار بكري ت ٩٦٦ هـ دار صادر، بيروت.

١٧ ـ تاريخ العراق بين احتلالين: المحامي عباس العزاوي، منشورات الشريف الرضي، قم، ط ١ ـ ١٤١٠ هـ.

١٨ ـ تاريخ جهانگشاى: علاء الدين الجويني تـ ٦٨٠ هـ تصحيح العلامة محمد القزويني، نقش قلم، طهران، ط ٢ ـ ١٣٧٨ ش.

١٩ ـ تاريخ مختصر الدول: العلامة غر يغوريوس المطلي المعروف بابن العبري ت٦٨٥ هـ.

٢٠ ـ التنبيه والإشراف: المسعودي ت ٣٤٥ هـ دار صعب، بيروت.

٢١ ـ تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: عمر الإسكندري، و أ . ج. سفيدج، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢ ـ ١٤١٦ هـ.

٢٢ ـ تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني تـ ٨٥٢ هـ، دار الفكر، بيروت.

٢٣ ـ تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني تـ ٨٥٢ هـ دار الرشيد، سوريا.

٢٤ ـ ثلاث رسائل، ولاية الفقيه: السيد مصطفى الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط١ ـ ١٤١٨ هـ.

٢٥ ـ الثقات: محمد بن حبان التميمي البستي، دار الفكر، بيروت، ط ١ ـ ١٣٩٥ ق.

٢٦ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي ت ٧٢٣ هـ دار الفكر الحديث، بيروت، سنة الطبع ١٤٠٧ هـ

٢٧ ـ الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير: الدكتور محمد صالح داود القزاز، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ط ١ ـ ١٩٧١م.

٢٨ ـ الحكومة الإسلامية: السيد روح الله الموسوي الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طهران، ط ١ ـ ١٩٩٦م.

٢٩ ـ جامع التواريخ: رشيد الدين فضل الله الهمداني تـ ٧١٨ هـ، البرز، طهران، طـ ١ ـ ١٣٧٣ ش.

٣٠ ـ جؤنة العطار: أحمد بن الصديق الغماري.

٣١ ـ خلاصة الأقوال: العلامة الحلي تـ ٧٢٦ هـ تحقيق الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، طـ ١ ـ ١٤١٧ هـ.

٣٢ ـ الدر النظيم: ابن حاتم العاملي تـ ٦٦٤ هـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٣٣ ـ دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ منتظري، مكتب الإعلام الإسلامي، قم طـ ١ ـ ١٤٠٨ هـ

٣٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية: مجموعة من المستشرقين، شركة الإنتشارات العالمية، طهران، سنة الطبع ١٩٦٦م.

٣٥ ـ رجال الطوسي: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي تـ ٤٦٠ هـ، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم طـ ١ ـ ١٤١٥ هـ

٣٦ ـ رجال ابن داود: ابن داود الحلي تـ ٧٤٠هـ تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة الطبع ١٩٧٢م.

٣٧ ـ الردود المحكمة: الشيخ علي آل محسن، دار مشعر، طهران، طـ ١ ـ ١٤٢٧ هـ.

٣٨ ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة الطبع ١٤١٣ هـ

٣٩ ـ سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٤٠ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض سنة الطبع ١٤١٥ هـ

٤١ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المدائني المعتزلي ت ٦٥٥هـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

٤٢ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك: تقي الدين أحمد المقريزي ت ٨٤٥ هـ تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العملية، بيروت، ط١ ـ ١٤١٨ هـ

٤٣ ـ الشيعة في إيران: رسول جعفريان، تعريب علي هاشم الأسدي، مجمع البحوث الإسلامية في الأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط ١ ـ ١٤٢٠ هـ

٤٤ ـ الشيعة من الإمام علي حتى الإمام الخميني: صالح الورداني، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ط ١ ـ ١٤١٤ هـ

٤٥ ـ صحيح الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الرياض، سنة الطبع ١٤٠٦ هـ

٤٦ ـ صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، نكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، سنة الطبع ١٤٠٩ هـ

٤٧ ـ صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري تـ ٢٥٦ هـ دار الفكر، بيروت، سنة الطبع ١٤٠١ هـ

٤٨ ـ صحيح مسلم: مسلم النيسابوري تـ ٢٦١ هـ دار الفكر، بيروت.

٤٩ ـ الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيثمي.

٥٠ ـ العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: الملك الأشرف الغساني ت٨٠٣ هـ تحقيق: دار التراث الإسلامي، بيروت.

٥١ ـ عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤ هـ تحقيق الدكتور فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد للنشر، بغداد، سنة الطبع ١٩٨٠م.

٥٢ ـ الغزو المغولي: حسن السيد محسن الأمين تـ ١٤٢٣ هـ دار التعارف للمطبوعات، بيروت، سنة الطبع ١٩٧٦م.

٥٣ ـ الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي.

٥٤ ـ الفخري في الآداب السلطانية: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي تـ ٧٠٩ هـ منشورات الشريف الرضي، قم، ط ١ ـ ١٤١٤ هـ

٥٥ ـ فهرست ابن النديم: ابن النديم البغدادي تـ ٤٣٨ هـ

٥٦ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، سنة الطبع ١٣٥٦ هـ

٥٧ ـ فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي تـ ٧٦٤ هـ تحقيق علي محمد بن يعوض الله، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ـ ١٤٢٠هـ

٥٨ ـ القيادة في الإسلام: محمد الري شهري، ترجمة علي الأسد، مؤسسة دار الحديث الثقافية، ط ١.

٥٩ ـ كتاب السنة: عمر بن أبي عاصم الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة الطبع ١٤٠٥ هـ

٦٠ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: شمس الدين الذهبي.

٦١ـ كشف الظنون: حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٢ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير تـ ٦٣٠ هـ دار صادر، بيروت، سنة الطبع ١٣٨٦ ق/١٩٦٦م.

٦٣ـ لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني تـ ٨٥٢ هـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٦٤ـ المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، ط ١ ـ ١٤٠٥ هـ.

٦٥ـ منهاج السنة: ابن تيمية الحرّاني، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، طـ ١ ـ ١٤٠٦ هـ.

٦٦ـ من فقه الجنس في قنواته المذهبية: الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، منشورات الشريف الرضي، قم، طـ ١ ـ ١٤١٢ هـ

٦٧ـ مجموعة الرسائل: الشيخ لطف الله الصافي.

٦٨ـ المعيار والموازنة: أبو جعفر الإسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، طـ ١ ـ ١٤٠٢ هـ

٦٩ـ ميزان الإعتدال: شمس الدين الذهبي تـ ٧٤٨ هـ دار المعرفة، بيروت.

٧٠ـ المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار (خطط المقريزي): أحمد بن علي المقريزي تـ ٨٤٥ هـ طبع في القاهرة، سنة الطبع ١٩٩٠م.

٧١ـ مقتل الخوارزمي: الخوارزمي.

٧٢ـ مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، طـ ٢ ـ ١٤١٨ هـ

٧٣ـ المختصر من تأريخ ابن الدبيثي ت ٦٣٧ هـ: شمس الدين الذهبي تـ ٧٤٨ هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ ١ ـ ١٤١٧ هـ

٧٤ـ مجمع الزوائد: نور الدين الهيثمي تـ ٨٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٥ـ المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري.

٧٦ـ مروج الذهب: المسعودي تـ ٣٤٥ هـ دار السعادة، سنة الطبع ١٣٧٧ هـ

٧٧ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي الاتابكي ت ٨٧٤ هـ المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

٧٨ ـ نهج البلاغة: الإمام علي عليه السلام، نسيم حياة، ط ٢ ـ ١٣٧٩ ش.

٧٩ـ الوافي بالوفيات: صلاح الدين ايبك الصفدي تـ ٧٦٤ هـ اصدار فرانزشتايز، شتوتغارت، المانيا، سنة الطبع ١٤١١.

٨٠ ـ الوافي بالوفيات: صلاح الدين ايبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، سنة الطبع ١٤٢٠ هـ

٨١ـ وفيات الأعيان وأبناء ابناء الزمان: أحمد بن خلكان تـ ٦٨١ هـ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، سنة الطبع ١٩٧٢م.

٨٢ ـ هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٣ ـ يتيمة الدهر: الثعالبي ت ٤٢٩هـ تحقيق: الدكتور مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت ـ ط ١ ـ ١٤٠٣هـ.

فهرست المحتويات